جامعة الكوت
مركز البحوث والدراسات والنشر

ISBN: 978-9922-726-79-3

رسائل من القرآن الكريم

تأليف
د. شلتاغ عبود المياح

2026

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر

جامعة الكوت

٢٢٠ / ٧

م ٩٢٣ المياح ، شلتاغ عبود .

رسائل من القرآن الكريم / شلتاغ عبود المياح .

. - ط١. - بغداد: مطبعة جامعة الكوت ،

مركز البحوث والدراسات، ٢٠٢٦ .

٢٧٦ ص ؛ ٢٤ سم .

١ - القرآن الكريم - دراسات - أ - العنوان.

رقم الايداع

٢٨١٥ / ٢٠٢٦

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٢٨١٥ لسنة ٢٠٢٦م

ISBN: 978-9922-726-79-3

ملاحظة

مركز البحوث والدراسات والنشر في كلية الكوت الجامعة
غير مسؤول عن الافكار والرؤى التي يتضمنها الكتاب
والمسؤول عن ذلك الكاتب او الباحث فقط.

الإهداء :

الى حملة القرآن الكريم رسالة ربانية تهدي للتي هي أقوم، وتضيء جنبات الوجود بالخير والسلام والعدل، وتواجه دعوات الكفر والظلام والظلم واستعباد الشعوب وقهرها وإلحاقها بالمشاريع التي تعمل على تغريب الانسان وتفريغ عقله من قيم التوحيد ومبادئ الاخلاق التي جاءت بها الرسالات السماوية.

إلى شبابنا الذين بهم تتجدد الحياة، وتتأصل شجرتها في اعماق الارض، وتعانق فروعها عنان السماء إليهم اهدي هذا الكتاب.

المقدمة:

لقد أنزل الله –سبحانه– هذا القرآن الكريم ليكون منهج حياة للناس وكتاب هداية وتربية واستقامة، وفصّل فيه الحديث عن توحيده وبيان عظائم قدرته ونعمائه على الإنسان ظاهرة وباطنة، ودله على نهاية مساره يوم يلقاه، وأكثر من وعده بالنعيم الدائم إنْ هو أطاعه، وأوعده بالعذاب المقيم ان هو عصاه، وشرع له من الأحكام ما تستقيم بها حياته، وبما يغنيه عن اي تشريعات بشرية، وضرب له الأمثال، وسرد له من قصص الماضين من الأمم والجماعات مايساعده على الاتعاظ والاعتبار والمزيد من التجارب.

وقد صرّف له القول عن ذلك كله بأساليب شتى من البيان والبلاغة ما يثير احساسه بما حوله من الوجود، ويساعده على التفاعل مع المضامين والمقاصد التي يعرضها هذا القرآن الكريم. وذلك كله من أجل أن يحثه على الفهم والتدبر والاستجابة:(كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) الإسراء:9

ولان هذا القرآن الكريم انزل ليكون للحياة وللأحياء (لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ) يس: 70 فلن يستجيب له إلا الاحياء أصحاب العقول الراشدة والبصائر الحية، وسيعارضه ويحادّ ويحاربه أصحاب العقول المتحجرة والموتى الذين لا يسمعون ولا يعقلون: (أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا) الفرقان: 44

إنَّ كتاباً سماوياً منزلاً من الله لايمكن إلا أن يكون نوراً يبدد الظلمات، ومنهجاً يصنع الحياة، ويعدّ الانسان لخلافة الله في الارض وإعمارها، أما ما يراد لهذا الكتاب ان يكون كتاب احراز ومناسبات للأموات، وكتاب عرضٍ للنغمات والأصوات، فان ذلك ليس من وظيفة هذا القرآن الكريم الذي ارسل دستوراً للحياة.

ولايمكن لكتاب ينزل من الله إلى الناس إلا ان يكون كتاب هداية وإرشاد إلى منهج الله، وكتاب عدل وقسط بين الناس، وإقامة شرع الله من خلال سلطة حاكمة عادلة تستمد هديها من الله، وتشيع الامن والسلام، والعلاقات الانسانية الراقية ، والأخلاق النبوية العظيمة ، وتجعل الحياة أكثر جمالاً وسعادة وتطورا، من خلال استغلال الخيرات التي أودعها الله في الارض، ومن خلال استثمار العقل البشري في تطوير العلوم النافعة التي ترتقي بالحياة البشرية، وتخفف من معاناة الفقر والتخلف عن ركب الهداية، وتجعل العلم وسيلة لخدمة الانسان، وليس وسيلة للاستكبار والعدوان : (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) الإسراء : 9

وما هذه الرسائل المستوحاة من مضامين القرآن الكريم إلا إضاءات على مزيد من فهم القرآن الكريم وتدبر آياته ومقاصده، ليكون هذا القرآن الكريم مرشدنا وهادينا ودستور حياتنا، ولنسعد به في الدنيا والآخرة، ولتكون قراءتنا وتدبرنا له شفاعة لنا يوم الورود على الله.

اللهم ارحمنا بالقرآن الكريم واجعله لنا إماماً ونوراً وهدى ورحمة.

اللهم ذكّرنا منه ما نسينا، وعلمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، واجعله حجة لنا، يا رب العالمين.

د. شلتاغ عبود المياح

بغداد

22 ذو الحجة 1445هج

28 حزيران 2024

رسائل من القرآن الكريم: 1

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذه الآية تذكر سبع عشرة مرة في الصلوات الواجبة، وأربعاً وثلاثين مرة في الصلوات المستحبة، هذا في اليوم الواحد، فضلا عن صلاة الآيات، والصلوات المندوبة الأخرى التي تناسب الحالات والمناسبات المختلفة. ويقرأها قارئ القرآن الكريم كذلك في بداية السور، كما تذكر في بداية كل عمل مباح يعمله الإنسان في حياته، فيستشعر معها الراحة والاطمئنان بين يدي رب رحمن رحيم، يقول له : لئن اخطأت او أذنبت، فان الرحمة الإلهية تحيط بك من كل جانب، شريطة ان لا تسوّف أو تتمادى في فعل المعاصي، او تبتعد عن منهج ربك المستقيم.

ويختص اسم (الرحمن) بكونه يرد في السياق القرآني مرادفا للفظ الجلالة، ولا يسمى به أحد غيره، فهما (الله، الرحمن) اسمان لذات واحدة، وقيل ان اسم (الرحمن) كان معروفا لدى العرب وفي النصوص العبرانية والنصرانية على انه اسم للذات الإلهية الواحدة. فهما اسمان لمسمىً واحد. وایاً ما دعوت أصبت : (قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ)[1].

واسم (الرحمن) يشير الى الربوبية وشمولها، والمبالغة فيها، وهو يشمل الموجودات الكونية كلها، في حين ان اسم (الرحيم) يشمل المؤمنين خاصة: (هُوَ

[1]. الإسراء: 110

ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا) [1].

و (الرحمن) يذكر مع العذاب والرحمة على السواء، بينما يختص (الرحيم) بالرحمة فقط. إلى غير ذلك من الفروق بين الاسمين في السياقات القرآنية.

والخلاصة ان الجو الذي تشيعه كلمتا (الرحمن) و(الرحيم) جو مفعم بالربوبية الحانية المربية التي خلقت هذا الكائن على عينها، وهي ترعاه في مراحل حياته كلها، وترسل له الرسل لتهديه السبل التي تؤدي به إلى مرضاته ...وتمنحه الارادة التي بها يختار طريق الهداية او الضلالة.

[1]. الأحزاب: 43.

رسائل من القرآن الكريم: 2

(وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ) آل عمران : 123

النصر المشروط:

لم يكونوا أذلة عن مهانة ورسول الله فيهم ، وهاتف السماء يهتف بهم : (وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ)[1]، بل كانوا قلة نسبة الى عدد المشركين آنذاك. فقد كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر، وأنهم خرجوا يتعقب النفر منهم على البعير الواحد، وما كان معهم إلا فرس واحد، بينما كان عدد المشركين زهاء الألف، مع العدة الكافية من الإبل والخيل واللوجستيات كما نقول اليوم.

فكان ان هُزموا شر هزيمة بسبب صلابة المؤمنين ووحدتهم وقيادتهم النبوية المسددة، وقبل ذلك كله نصر الله الذي أمدهم بثلاثة آلاف مردفين ووعدهم بان يكونوا خمسة آلاف مسومين،[2] ثم بلطف من الله إذ قلّلهم بأعيُن المشركين وقلّل عدد المشركين في أعينهم [3].

ولا تسأل كيف تم هذا، بل قل هي قدرة الله التي لا تدانيها قدرة في الوجود، ونصره الذي يمد به الصادقين من عباده الذين ينصرون دينه ببذل أرواحهم

---

1. آل عمران : 139.

2. آل عمران : 124- 125.

3. الانفال : 44 ((وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)).

وأموالهم في سبيله. فالله سبحانه إذا أراد نصر أحد أو جماعة أو أمة يخلق أجواء ذلك النصر وأدواته، ويجعل السبل كلها ميسرة لتحقيقه.

اننا نستلهم العبر العظيمة من موقعة (بدر) الكبرى، لانها الحدث الذي غيّر مسيرة الاسلام في الجزيرة العربية وفي العالم، وان معركة مثل معركة (بدر) لا ينبغي ان نرحل إلى مكانها تاريخيا بل يجب ان ترحل هي الينا لتوجه بوصلة مسيرتنا المعاصرة، وليكون الجهاد هو سبيلنا لإعلاء كلمة الله وبسط رسالته، وكسر شوكة المستكبرين والمعاندين، وتمكين الصالحين من عباده في الارض.. انها حدث ليس للماضي وحده بل هي للحاضر والمستقبل كذلك. وهذا هو شأن الأمم الحية التي تُعنى باللحظات المضيئة من تاريخها لتوظفها في بناء حاضرها والتخطيط لمستقبلها. ويمكن ان نستخلص من هذه المعركة ما يلي : اولا: ان الله ينصر عباده مع قلتهم وقوة أعدائهم.

ثانياً : النصر موكول بالتوكل الإيجابي الذي يقرن الايمان بالعمل والجهاد؟

ثالثاً : ومن شروط النصر كذلك توفر القيادة الحكيمة المضحية والتي تنظر بنور الله.

رابعاً : لاينبغي التأثر باعلام العدو الذي يضعف من عضد المجاهدين: (إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أولياءه فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ)[1].

خامساً : (لعلكم تشكرون) اي تقومون بطاعته لان الشكر باللسان وحده لا يكفي.

1.ال عمران : 175.

رسائل من القرآن الكريم: 3

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ) غافر : 26

<u>من أساليب الطغاة والفاسدين:</u>

انهم يحاولون ان يُظهروا أنفسهم حماة للدين، حريصين على مصالح الناس، ويصطنعون احيانا الرقة والرفق بالعباد!

(اني اخاف ان يبدل دينكم)

يا لله ! فرعون صاحب دين، ويخشى على الدين، ويخاف على الدين!

بل انه يدعي انه هو (ابو النزاهة)، وموسى هو من يظهر الفساد !

(رمتني بدائها وانسلت) كما يقول المثل القديم [1]. فهو الكافر بالدين يظهر بمظهر الحامي له، وبينما هو أساس الفساد، يعلن انه يحارب الفساد!

بل انه في ادعاء آخر يرى ان مناهج الاخرين هي على ضلال، ومنهجه منهج هدى ورشاد !(.... وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ)[2].

ويمكن ان نتساءل عن فرعون ومن هم على شاكلته : هل كانوا في دواخل انفسهم يعتقدون ان ما يقولونه يعبر عن ما يؤمنون به، و يعبر عن واقع حالهم

1.غافر : 29.

2.مثل عربي قديم، اي عيّرتني بما فيها من عيب، ومضت.

حقا، ام كانوا يقولونه ظاهراً وينكرونه باطنا ؟ فمما لاشك فيه أنهم كاذبون ظاهرا وباطنا، وما هو إلا نوع من الكفر والنفاق مجتمعين، كماهو نوع من التمويه والتضليل، ونوع من الإعلام الكاذب الذي يحاول ان يغطي الحقائق باساليبه المختلفة مستغلا مستويات معينة من التأثير النفسي في المتلقين فارغي الذهن، والمستعدين للتلقي والاستجابة ممن يُبدأ بملء فراغ عقولهم اولا. وهذا ما يمكن دراسته نفسيا بالنسبة للمؤثروالمتأثر، ولكلٍ وضعه النفسي ومحركات كوامنه النفسية...

ويمكن توصيف هذه الحالة على مدى اوسع في العلاقات بين الأمم والشعوب، غالبة ومغلوبة، مستعمِرة و مستعمَرة،فكلنا نتذكر كيف أقبلت اوربا على شعوب الارض تقضمها واحدة واحدة، وتستولي عليها واحدة اثر واحدة، خاصة منها شعوب الشرق، والعالم الإسلامي خاصة، بدعوى او حجة ان هذه الشعوب متخلفة وتحتاج الى من يبث فيها روح الحضارة والتمدن، وأن الرجل الأبيض هو رسول هذه المهمة، وأن الله او القانون الطبيعي قد انتدبه لهذه المهمة المقدسة، وأن من واجبه ان يقوم بها ويؤديها على انها واجب إنساني ازاء غيره ممن يحتاج إلى انتشاله من التخلف عن ركب الحضارة.

وقد فعلت اوربا ذلك، وبكل الجرائم وحروب الإبادة والتصفية والمحق والإلحاق والتغريب والمسخ، وكل أساليب القوة وأساليب العلم والقدرات المالية والعسكرية الهائله تحت شعار تحضير الشعوب، وكانت قارتا أفريقيا واسيا الضحيتين الأبرز

فـي مجـال الاسـتعمار او الاسـتدمار او الاسـتخراب، كمـا يسـميه العـالم الجزائـري البشير الإبراهيمي [1].

وكان من أبرز العلوم الاجتماعية الحديثة التي استخدموها في ترويض الانسان واستدراجه مذبوحا ومستغلا وخاضعا ومدجنا ومستهلِكا ومستهلَكا ومسلوب الإرادة، هـو علـم الاجتمـاع وعلـم الأنثروبولوجيـا وأخواتـه، فكـان هـذا العلـم اداة للتطبيـع الحضاري قبل ان نسمع بهذا المصطلح بمفهومه الجزئي السياسي المعلوم.

فكما اعتمد فرعون علـى التضـليل والتمويـه، وكمـا اعتمد من بعده حكام الجور مـن بنـي أميـة وبنـي العبـاس، لجـأت أوربـا الـى المـنهج نفسـه ولكـن بلغـة حديثـة وأساليب حديثة، وجاء من بعدهم نتاج المسخ الأنثروبولوجي حكام العالم الإسلامي الذين نُصبّوا قسرا، واستخدموا أساليب الخداع والتمويـه، كمـا فعلها فرعون وأشياعه من قبل.....

[1].ينظر كتابه الذي جمع فيه مقالاته في جريدة(البصائر)وسماها (عيون البصائر).

رسائل من القرآن الكريم: 4

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا). الاحزاب : 59

<u>سد باب الذرائع :</u>

(ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين) الحديث عن حجاب نساء النبي (صلى الله عليه واله) ونساء المسلمين عامة، والإشارة هنا الى أن تزيّن المرأة خارج بيتها وترك الحجاب او التساهل فيه مدعاة وذريعة ومدخل من مداخل الشيطان لمن في قلبه مرض، او لا يتورع في النظر إلى النساء بريبة، او يتتبع عوراتهن، او يجرؤ على التحرش بهن او يسمعهن كلاما بذيئا....

ومن اجل منعِ ذلك كله وغيره دعيت نساء النبي ونساء المسلمين كافة إلى مراعاة شأنهن في الحجاب، فلا يترخصن فيه، ولا يعطين فرصة لمن يريد ان ينال منهن مأربا.

اقول: لو ان المرأة عموما التزمت بحجابها وحشمتها، تكون قد حمت نفسها وحصنتها من كل اعتداء او تعرض للاذى في اي شكل من اشكاله من قبل ضعاف النفوس ومرضاها: (ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين..) وهذا هو باب سد الذرائع في الفقه الإسلامي.

وفي السيرة النبوية المطهرة ان النبي (صلى الله عليه واله) مر على رجلين، وكانت معه زوجته (صفية)، فبادر الى القول:(على رسلكما انها صفية)[1] وما كان متوقعا ان يشك الرجلان في انه يصطحب غير زوجته، ولكنها رسالة للمسلمين عامة ان يبتعد المسلم عن كل شبهة، وان يصحر بموقفه عن كل ما يُتوقع ان يُحدث ظنا سيئا فيه، لان الناس لهم الظاهر، ولا يعلمون بواطن الامور، فوجب ان تتضح أبعاد ظواهرها لهم. واذا كان هذا الامر مع المجتمع الإسلامي الاول، ومع ذلك الجيل القرآني الفريد، فكيف بنا ونحن نعيش الفتن المظلمة، ومداخل الشيطان المفتوحة على مصاريعها، فأنّى نلتفت نجد المغريات والشبهات والظنون الحالقات ؟!

ويمكننا ان ننطلق من هذه الاية وهذا الموقف في السيرة النبوية إلى مدى اوسع، وهو ان النتائج في الغالب تاتي من طابع المقدمات ومن سنْخها ولونها وأهدافها، فاذا خطونا خطوة صغيرة باتجاه عمل سيّئ وخطونا الثانية، ترى إلى اين ستنتهي بنا الخطوات ؟ الم تكن هذه البداية هي التي ستقودنا الى نهاياتها ؟

وقل مثل ذلك اذا كانت خطوتنا الاولى باتجاه الخير، فواضح إلى اين تنتهي الخطوات التالية...

اقول: ان معظم النار من مستصغر الشرر ! فحذار من البداية وسهم اتجاهها. فالمرأة التي تترخص قليلا في حجابها اليوم، سيكون من السهل عليها غدا ان توسع من هذه الرخصة، والمرأة التي تخطو الخطوة الاولى في الحديث من

[1] article , https :// www.islamweb.net.

الرجال،ستجد نفسها فيما بعد تتسامر و(تنكّت) معهم إلى ان تقع في المحاذير.وقل مثل ذلك بالنسبة لنا حين نتساهل في كثير من المقدمات لنجد انفسنا وقد وقعنا في وسط النتائج الوخيمة، وربما المحرمة، والعياذ بالله.ان سيكارة واحدة قد توصلك إلى الأدمان في الدخان ولا اقول رشفة من خمر..... ، وان نظرة واحدة قد تتبعها نظرات، وربما بعدها ابتسامة فموعد فلقاء.!!.[1].

فآهٍ ثم اهٍ من مقدمات السوء !

ولعله من الحكمة الإلهية أنْ كان تقديم الزانية على الزاني في قوله تعالى : والزانية والزاني (.... لان المرأة في تزيّنها وغَنَج كلامها وعدم إدنا ئها من جلبابها او ضبط حجابها، ربما هي التي تقود الرجل او تسهل له نهايات الطريق البعيد واقتراف موبقة الزنا، والعياذ بالله !

والخلاصة: أننا مدعوون الى ان نعرف ما تؤول اليه المقدمات التي نباشرها، أهي مقدمات إلى الخير وما يرضي الله ام مقدمات تؤدي إلى الدواهي، والعياذ بالله.

[1]. ينظر، تفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ج6، ص239.

رسائل من القرآن الكريم: 5

(يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ) الأنفال : 1

نزعة حب الذات والمال:

حتى لدى ذلك الجيل الفريد من تاريخ الدعوات!!

وهذا بيان حكم الله في الأنفال، وهي الاموال التي يغنمها المسلمون في جهادهم في سبيل الله، بعدما حدث بين اهل (بدر) من الجدال حول تقسيمها، فردهم الله الى حكمه فيها، كما ردهم إلى تقواه وطاعته وطاعة رسوله، واستجاش في قلوبهم وجدان الايمان والتقوى، ثم اخذ يذكرهم بما أرادوا لأنفسهم من الغنيمة، وما أراده الله لهم من النصر والعزة، وكيف سارت المعركة، وهم قلة لا عدد لهم ولا عدة، واعداؤهم كثرفي الرجال والعتاد...

وقد يدهش الإنسان حين يرى اهل بدر يتكلمون في الغنائم، وهم إما من المهاجرين السابقين الذين تركوا وراءهم في مكة كل شيء، وإما من الانصار الذين آووا المهاجرين وشاركوهم في ديارهم وأموالهم لايبخلون بشيء من أعراض هذه الحياة الدنيا، كما قال فيهم ربهم: (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ

يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ)[1].

ورغم ذلك كله وقع المحذور! لقد وجدوا انفسهم وجها لوجه أمام النزعة الفطرية لدى الانسان من حب الذات والمال وشيئيات الحياة وضروراتها، وهي النزعة التي تلبست في الانسان وصارت جزءاً من دمه ولحمه وروحه، حتى أُحضرت إحضارا فيه حسب التعبير القرآني : (وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ)[2] او التصقت التصاقا كلون البشرة او كحالة تنشق الهواء لدى الانسان!

وهذا هوالذي عبرت عنه النفس الانسانية حتى في ادق المواقف، والتي يفترض فيها ان تثور على سجيتها، وتخرج من قبضتها وسحرها وتاثيرها.

وقد تجد بعض التفسيرات لما حدث في (بدر) آنذاك. فهو إما بسبب عدم الرسوخ التام لقيم الدين الجديد وتمكنه في النفوس الى الدرجة التي تتغلب النفس على طبيعتها وفطرتها، وإما انه كان اختلافاً في درجات البلاءفي الحرب، فقد كانوا يتنافسون للتعريف بدرجة بلائهم، فمنهم من قتل شخصا من المشركين او اكثر، ومنهم من أسر مشركا او اكثر، ومنهم من حمى رسول الله او بقي في مؤخرة المقاتلين لحمايتهم، وكان مقدار نصيبه من الغنيمة بمقدار بلائه او

---

1. الحشر : 9

2. النساء : 128

مساهمته في المعركة، وكانوا حريصين ان يعرف الاخرون منازلهم من المعركة، كما جاء في بعض التفاسير[1].

مهما يكن، فان معركة (بدر) وما حدث فيها من اختلاف حول توزيع الغنائم، كانت فرصة للأخذ بالتربية الربانية، التي توجه الى التسلح بالتقوى في مواجهة كل ما تنزع اليه النفس الى فطرتها من حب الحياة ومتعلقاتها من مال وأثاث وزينة ! فانه لا يرد القلب البشري عن الشعور بأعراض الحياة الدنيا والحرص عليها والنزاع عليها إلا استجاشة الشعور بتقوى الله وخوفه وتلمس رضاه في الدنيا والآخرة.

ولهذا جاءت الاية التالية لهذه الاية موجهة إلى هذا المفهوم ومشخصة له ومذكرة به: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)

ولقد جاء الإسلام لا ليقلع هذه النزعة من اصولها في النفس الإنسانية، ولكن ليهذبها ويغذيها بمزيد من تقوى الله وخشيته والطمع بيوم لقائه، والخوف من عقابه وغضبه ...والناس في ذلك على درجات في كل الأزمان، وفي تنافس للوصول الى الدرجة العليا من غلبة النفس ونزعاتها والانتصار على الذات وتمحورها.

[1].ينظر، في ظلال القرآن، سيد قطب، مج3،ص1473.

رسائل من القرآن الكريم: 6

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ) البقرة: 143

<u>الأمة الوسط</u>:

إن الله – سبحانه – قد أنعم على اتباع محمد (ﷺ) بالهداية، وابرز مظهر لهذه الهداية انه جعل الاعتدال منهجا لهم في الدين، فلا افراط ولا تفريط، بل توسط في العقيدة وتوسط في الاخلاق، و قد جمع لهم في تعاليمه وتوجيهاته بين حق الروح وحق الجسد، فلا روحانية مقترة ولامادية مسرفة، بل تعادل وتوازن بينهما.

وبهذه الصفة يكون الرسول شاهداً على من خالف منا ولم يعمل للاسلام واحكامه، ويكون المسلمون شهداء ومبلغين للناس كافة سواء منهم المسلم الجاهل وغير المسلم. ونحن بهذا الواجب المقدس يصبح كل واحد منا شاهداً على من بلّغه الرسالة، ولم يعمل بها. ومن اهمل من العلماء ولم يبلغ فان محمداً ﷺ يشهد عليه غدا امام الله على انه خان الرسالة. ان العلماء والمبلغين والدعاة مسؤولون امام الله ورسوله عن نشر الدعوة الاسلامية بين الناس بالحكمة والموعظة الحسنة وتوضيح تعاليم الاسلام لمن يجهلها من المسلمين.. ومن قصر عن هذا الواجب يشهد عليه غدا سيد الكونين شهادة صريحة واضحة بين يدي العزيز الجبار، و الويل كل الويل لمن يشهد عليه رسول الله ... هذا اذا اهمل، ولم يبشّر، فكيف اذا

اساء هذا الملبغ وكان السبب الباعث على ابتعاد الناس عن الدين والتشكيك فيه ومحاربته!

إن على الملبغ لرسالة الله والداعية لدين الله ان يكون مصداقا لسيرة النبي وسيرة الأئمة الاطهار والصالحين الاخيار، وان يُلزم نفسه بسلوك ينسجم وتعاليم الاسلام، ويقيدها بحالات قد تجوز لغيره ولاتجوز له، ان كانت من المباحات لانه القدوة، ولا ينبغي للقدوة ان يُؤشّرعليها المجتمع بشيء من المحرمات او المكروهات.

وبعدهذا التوصيف للرسول وأمته (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)، ياتي الحديث عن القبلة التي خصصها لهم ليعبروا عن شخصيتهم المميزة عن باقي الاديان والرسالات، فهم امة وسط تشهد على الناس جميعا لتقيم لهم العدل والقسط، وتضع لهم موازين حياتهم ضمن التصور الاسلامي للانسان والكون والحياة... فالشهادة هنا في مقام القياده الرائدة التي تتحمل مسوؤلية قيادة العالم و لتكون الامة المتبوعة وليست التابعة لاي دولة من دول الاستكبار، او مجموعة من المجتمعات الدولية ذات الاهداف الاستعمارية التي تريد ان تقود العالم و توجهه نحو مبادئها ما صح منها وما انحرف عن الفطرة والاستقامة [1]

إنّ أمة هذه مسؤوليتها لا ينبغي ان تركن الى الخمول او الاستكانة، ولابد ان تعد نفسها اعداداً خاصاً متميزاً يكون بمستوى المهمة التي ندبها الله اليها، وسلّمها زمام أمورها...

[1].في ظلال القرآن الكريم ، سيد قطب، مج3 ،ص131.

وهذا الاستعداد يشمل القوى المادية (وأعدوا لهم ما استطعهتم من قوة) [1]، كما يشمل الجوانب الروحية والمعنوية التي يتصف بها كل قائد وكل صاحب مهمة كبيرة وصعبة.

ان قيادة العالم مهمة لا يضطلع بها إلا الانبياء وورثتهم من حملة الرسالات ومبلغيها، الذين باعوا انفسهم لله، وكبرت نفوسهم على الابتلاء والمحن وواجهوها بعزائم لا تلين، لان وراءهم يد الرحمة الالهية والعون الالهي العظيم (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) [2].

---

1. الأنفال : 60

2. الحج : 38

رسائل من القرآن الكريم: 7

(وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ) الأنفال:33

<u>الانبياء والمجتمعات :</u>

جرت سنة الله – سبحانه – ألاّ يعذب قوما مكذبين وأنبياؤهم بين ظهرانيهم حتى يخرجوا من قريتهم التي كُذّبوا فيها.

وذلك اكراما لهم، وتصديقا لدعوتهم، وقد كانوا من قبلِ أنْ ينزلَ بهم العذاب لجاحدين، ولم يظنوا أنّ العذاب واقع بهم، أمَا وقد وقع فلن يجدي معه تضرع ولا جزع ولا دعاء. وهذا الذي حدث مع الأقوام التي عُذّبت بتكذيبها رسلها، وهذه سنة من سنن الله في دعوات الانبياء، كما حدث مع قوم نوح وصالح وثمود ولوط....

فأي نماذج بشرية يمثل أولئك الانبياء حين بلغوا هذه الدرجة من المعرفة بالله ومن القرب والزلفى منه وتقواه، وتمثُّلِ شرائعه في حياتهم وسلوكهم ودعوتهم اليها بتفانٍ واخلاص حتى يكرمهم الله هذا التكريم ويصدق دعواتهم هذا التصديق ؟.

وأيُّ اقوام أولئك الذين يمحضهم أنبياؤهم النصح وينذرونهم لقاء ربهم ويرشدونهم إلى سبيل النجاة من عذاب الله، فينكرون دعوات أنبيائهم ويجحدونها، ويتّبعون ذلك تكذيبا واذىً وحرباً لا هوادة فيها حتى يأتيهم الله بعذابه ومحقه ؟

وهذه من سنن الله في حياة الشعوب، ولا ينبغي لمبلغ او داعية إلا ان يعيها ويستعد لها ويتكيف معها، ويلبس لكل حال منها لبوسَها.

انها حالة مشروطة، إذ لا ياتي العذاب إلى الأقوام المكذبة مادام الرسل معهم، فأن خرجوا من قراهم أتاهم العذاب..وقد جاء ذلك مع صيغة الفعل المضارع الذي يدل على الحركة والتغير(ليعذبهم) ، تعبيرا عن تحّول حالهم حين يخرج منهم رسلهم [1]. وأما الجزء الثاني من الآية التي جاءت الصياغة فيها بالاسم(معذبهم) الدال على الرسوخ والثبوت ، فللدالة على جعل الاستغفار مانعاً عن العذاب ثابتاً ماداموا يستغفرون ...وهذا من اسرار العربية وفقهها الدقيق [2].

ولقد اراد الله –سبحانه – ان ينزل العذاب بأهل (نينوى) بعد ان خرج عنهم نبيهم يونس، وان كان خروجه ليس بإذن ربه، ولكنه لم ينزله عليهم لانهم أسرعوا في الأوبة إلى الله، وتضرعوا اليه، واستغفروه، فكان ان أبعد عنهم العذاب، ورضيَ عنهم، بعد ان كانوا قد كذّبوا نبيهم وحاربوه، فخرج مغاضباً إلى حيث ما كان من امره مع الحوت...

اما قوم هود وصالح ولوط، فأوغلوا في العناد والجحود والعتّو والفساد، فكان أنْ خرج منهم أنبياؤهم ليتركوهم ومصيرهم من العذاب الذي كان اليماً ومتنوعاً بما كذبوا وجحدوا، ولم يلجأوا إلى الاستغفار، ولو لجأو ا إلى ربهم لوجدوه غفورا رحيما.

---

1. ينظر تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج9، ص31.

2. arcives , beta , https:// alghaf.com.

والمراجع لأحوال الانبياء مع أقوامهم الماضين يجد وحدة الرسالات لدى اولئك الانبياء، وذلك بدعوتهم الى التوحيد والايمان بشرائع الله الراشدة إلى الخير والصلاح، كما يجد تشابه اولئك الأقوام بشركهم وعنادهم ومحاربتهم للرسل، وفي هذا دلالة واضحة على مصدر رسالات الانبياء، وأنها مرسلة من السماء، ومن خالق الوجود والناس، وليس من صناعة الإنسان ونسج خيال أفراد مهما أُوتوا من قدرات وابداع، كما يلحد إليه المستشرقون، او الماديون من فلاسفة ومفكرين في عصر العلم والحداثة التي ارادت أن تبعد الإنسان عن كل شيء خارج الوجود المادي، وتجعله كائنا غير مرتبط بما قبل او بعد وجوده في الحياة!

فأنىّ يُصرفون ؟ وأنّى يُؤفَكون ؟.

رسائل من القرآن الكريم: 8

(وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ)هود : 114

الصلاة التي تذهب السيئات:

من رحمة الله على عباده انه جعل ما بين عبادة وأخرى مذهبة للذنوب، فما بين شهر رمضان وآخر مغفرة للذنوب، وما بين الجمعة الى الجمعة مغفرة لذنوب ما بينهما، وما بين صلاة وما بعدها محو للذنوب التي يجترحها الإنسان بينهما! وحين يحج بيته الحرام يغفر له ذنوبه كلها!

فما أرحمك يارب! وما أشقاك ايها الإنسان! اذ لم يبق لك وقت بعد ذلك كله ان تذنب وان تقترف السيئات. فأية مساحة زمنية تستطيع ان تذنب فيها ايها الانسان؟ انك محاصر بالمغفرة والرحمة أينما ذهبت، واينما تحركت، فمن اين جاءت لك هذه الذنوب التي أثقلتك وأردتك في النار؟ هل ارتكبتها في الارض، ام في الفضاء، ام خارج الزمان والمكان؟!

إنّ تلك الصلوات في اليوم الواحد جعلها لك ربك من (الحسنات) التي تذهب السيئات التي تقترف ما بينها، فماذا فاعل انت في تلك الصلوات، وكيف تعاملت معها، وكيف أديتها؟

وهل التزمت بها في أوقاتها؟ وهل أقمتها حقا، بمعنى هل جعلتها تامة غير منقوصة ولا مبتورة ولا مستعجلا فيها، ولا شارد الذهن فيها؟ وهل وصلت معها

رحما او سعيت معها لقضاء حاجة محتاج ؟ وهل غضضت بصرك معها عن محرم او مكروه ؟

وهلّا أمرت معها بمعروف ونهيت معها عن منكر ؟؟

فلكي تكون هذه الصلوات من الحسنات التي تمحو السيئات لا بد ان تكون أجوبتك عن هذه التساؤلات إيجابية، لان (اقامة الصلاة) تعني جعلها مستقيمة مائة بالمائة، كالمسطرة المستقيمة ولا تسمى مستقيمة إلا إذا كانت مائة بالمائة ولن تكون مستقيمة إذا كانت نسبة استقامتها 99 بالمائة!!

فانظر ماذا انت فاعل في صلاتك!

وتأّمل أيها الإنسان كيف تغلب سيئاتك حسناتك مع هذه المحاصرة بالمغفرة والرحمة من خالقك، اذ لم يجعل لك وقتاً او حّيزاً من الوقت لتكون حرا مع الذنوب! نعم، ويل لمن (غلبت آحاده عشراته) كما يروى عن الامام السجاد (عليه السلام) إشارة إلى ان الله يسجل عليك السيئة بواحدة، ويسجل لك الحسنة بعشرة.

وان تعجب فعجب ان يكثر اهل النار، وعجب ان تغلب سيئات الانسان حسناته!

(ذلك ذكرى للذاكرين) هذه المعاني، وبهذه الدرجات والارقام، وبهذه الفيوضات من رحمة الله، وبذلك الحب الحاني، والشفقة الوارفة على الانسان، كل ذلك مدعاة للموعظة والذكرى، ولكن لمن ألقى السمع وهو شهيد، ومن كان قلبه ارضاً خصبة لتلقي غيث الله وشآبيب رحمته، ولم يكن من جنس من شمله دعاء الافتتاح (وتتحبب الي فأتبغّض اليك)..اللهم ارحمنا في شهر رحمتك هذا، وفي كل حين.

رسائل من القرآن الكريم: 9

(شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ الهدى والفرقان) البقرة : 185

<u>الاقتران بين شهر رمضان والقرآن الكريم:</u>

هذا الاقتران يوحي ويوجه إلى معان عدة:

1. هذا الحيز الزمني يحتضن النور الذي انزل من السماء ومن هذا النور يستمد الشهر عظمته وقدسيته.
2. ومادام هذا الشهر قد ارتبط بقران السماء، فهو ليس شهر امتناع عن الطعام، وان كان هذاالامتناع فيه نكهة الطاعة لمنزل القرآن الكريم، بل هو امتناع عما انكره القرآن الكريم وحرمه القرآن الكريم.
3. بما أنّ القرآن الكريم كتاب هداية وإصلاح وتغيير، فان الصيام يحتضن هذه المعاني ويغذيها.
4. وبما ان هذا القرآن الكريم جاء بالأحكام الواضحة البينة (بينات من الهدى)، فقد جاء باحكام الصوم وعزائمه ورخصه والعبادات المحيطة به، وهي بينة وواضحة وحكيمة.
5. ان هذا الشهر حين يستمد عطاءه من القرآن الكريم ، فان تاثيره في النفس الانسانية يتعدى فترة الثلاثين يوما إلى فترة الاحد عشر شهرا التالية له،

وهي دفعة قوية لو تكررت كل عام بهذا التدفق، فان العمر كله سيكون محفوفا بالاستقامة والخير والصلاح.

6. انه الشهر الذي يمارس فيه الانسان التنمية العمودية لذاته حين يطهرها ويزكيها بعطر القرآن الكريم، كما يمارس فيه التغذية الأفقية حين يمتد اثره وعطاؤه للآخرين.
7. انه الزمن الذي تكون فيه الهداية (للناس) كل الناس، وهذه الهداية تحتاج إلى من يبلّغها ويحمل مشعلها المستمد من نور القرآن الكريم ، وهو الشهر الذي تنتعش فيه الدعوة الى الله وتبليغ رسالته.
8. انه شهر العكوف على الذات لتغذيتها بالقرآن الكريم قراءة وفهما وتدبرا، وفي عبادة الاعتكاف خاصة، حين تنتعش الروح بعبق القرآن الكريم وتتصرف اليه عشراً من الليالي كاملات.
9. انه الشهر الذي ترتفع عنده حاسة البصيرة، لان الانسان يعيش شهر (الفرقان) الذي يفرق بين الحق والباطل، وهذا التفريق لا يكون إلا مع وعي عالٍ وبصيرة نافذة.
10. انه شهر القراءة الواعية لانه شهر القرآن الكريم المشتق من (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، وحين سُمي القرآن الكريم قراناً، فهو كتاب القراءة المفضية إلى العلم والمعرفة.
11. وبالتالي فهو شهر المراجعة والتخزين وبرمجة الذات، وصناعة الانسان على عين القرآن الكريم ووفق منظومته القيمية والأخلاقية التي تنتهي إلى بناء الفرد والجماعة والدولة.

12. واخيراً فهذا الشهر ليس شهر حرمان من الطعام بل شهر عمل ووعي وجهاد أصغر وأكبر، وان هذا القرآن الكريم ليس كتاب مناسبات وجنائز، بل كتاب هداية وعلم وتفريق بين الحق والباطل وكتاب نظام حياة فردية واجتماعية، مثلما هو نظام حكم وإدارة دولة[1].

[1]. ينظر، تفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، مج1، ص284.

رسائل من القرآن الكريم: 10

(وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ المؤمنين) الذاريات : 55

طابع في النفس الإنسانية:

الغفلة والنسيان والأُلفة في النفس الإنسانية لمن حولها من الأشياء والأفكار والعادات، فهذه النفس لا تنفك تألف ما حولها وتستنيم له وتتكيف معه حتى ليصبح جزءا من حياتها، وتغفل عما هو صحيح غيره، بل ترفض كل جديد يطرأ على حياتها، وتواجهه بالإنكار والرفض، وربما بوسائل الدفاع والهجوم، و بكل ما أوتيت من قوة مادية وحجج تعتقد أنها ساندة لموقفها التقليدي، وهي ترى انها على صواب من موقفها على الدوام، وأن ما تراه وتألفه هو عين الصواب والواقع.

ومن هنا يأتي التذكير والتنبيه الدائم المتكرر والإلحاح من لدن الذي يريد ان يجابه تلك الحالات في نفوس الذين يستهدفهم للتغيير والانسجام مع الأفكار الجديدة. وقد يستمر اولئك في الإنكار والرفض والإنكار والمواجهة ويستمر هو بالتذكير والتنبيه وتجلية الصدأ والرين بما يملك من منبهات ومثيرات ووسائل من العقل والمشاعر ومشاهد الحياة الدالة على ما يؤمن به من افكار ومتبنيات جديدة، والذي يصمد ويوفق هو صاحب الحجة الأقوى، والصابر على معاناة التبليغ وعرض الأفكار بما يقرّبها الى النفوس ويدخلها إلى أعماقها بطريقة غير مستفزة ولا عدوانية ولا متغلبة شامتة!

ان من واجب المبلغ برسالته ان يمضي إلى النهاية، والى ما بعد النهاية، لا يأبه بالعقبات ولا بتكذيب خصومه واستهزائهم وأذاهم، انه يؤمن بان قيمة الأعمال في النفس مستمدة من بواعثها لا من نتائجها، ولتكن النتائج ما تكون، فهو غير معلّق بهذه النتائج ...انه من اصحاب الرسالات الذين ينتظرون تقييم النتائج إلى المتحكم في هذه النتائج !

ان هذا التذكير لا يتفاعل معه الذين ماتت قلوبهم، والذين لا يسمعون، وليست لديهم حواس تتحسس ما حولها من وجودات، بل هو للذين يعون، ويوظفون حواسهم بما هو حق وواقع .

وهل اولئك غير المؤمنين الذين صفت فطرتهم، وتحفزت مشاعرهم، وتفتحت حواسهم على ما حولهم، ليتخذوها محطات اعادة نظر، وتجارب ميدانية، وهم ماضون في اعادة تشكيل الحياة بما هو واجب واصيل ونافع وهادي إلى الاستقامة والنقاء ؟

إنَّ أيَّ تهاون في اداء المبلغ او اي شعور بالتعب او الإحباط، انما هو قوة للحرس القديم، حرس العادات والتقاليد البالية والأصنام المتحجرة !

أيها الداعية، لا تبال بالذي استكبر وأصر على الضلال، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، فحسبك انك لم تقصر في تبليغ رسالتك. واذا كانت مقولة المعاندين هي (اكذب، اكذب حتى يصدقك الناس) فلتكن مقولتك (اصدق

...اصدق ...) ولو كذبك الناس، وسيصدقونك في أعماقهم، وان تماروا وتعالوا واستعصوا وتكابروا على تصديقك والإيمان بدعوتك [1].

[1]. ينظر في ظلال القرآن الكريم ، سيد قطب ، مج6 ، ص3386.

رسائل من القرآن الكريم:11

(وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا) الفرقان : 74

<u>الإمامة والقيادة:</u>

كثر ذكر المتقين والحديث عنهم في القرآن الكريم، حتى حسبنا أنهم المجموعة التي تتصف بأعلى الصفات وأعظمها، وأنه لا مجموعة من الناس اقرب إلى الله منهم، ولكن قوله تعالى: (واجعلنا للمتقين اماما) يجعلنا امام مجموعة اخرى هي اعلى من درجات المتقين، فمن هم اولئك الذين هم اعلى من المتقين درجة ومقاما عند الله ؟

واضحٌ انهم ائمة المتقين من الرسل والأوصياء والذين يدعون الله ان يجعلهم قادة للناس بما يصلح دينهم ودنياهم (واجعلنا للمتقين اماما). انهم الفئة التي تدير شؤون المتقين، لان إمامتهم للمؤمنين هي قيادتهم، ولن تكون هذه القيادة إلا بمواصفات معينة، وان من يضع نفسه في هذا الموضع يجب عليه ان لا يفعل بعض المحدّدات التي يفعلها المؤمنون بل والمتقون، وعليه من الواجبات ما تفوق الواجبات المفروضة على المؤمنين والمتقين!

إنّ من ندب نفسه إلى هذا المقام الذي دعا إبراهيم ربه ان يحله أياه، فاستجاب له: (... قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ)[1]،فقد ارتقى عظيما ! وعليه ان يعد نفسه

---

1. البقرة، 134.

لهذا المقام إعداداً، ليس كمثله إعداد، لانه جعل نفسه أنموذجاً يحتذى، ورمزاً يقتدى، ومعْلَماً به يُهتدى، فما يعد مباحا لغيره لايعد مباحا له، بلحاظ موقعه، وبلحاظ العنوان الثانوي، اي المقام الذي ندب نفسه اليه، واستجاب له ربه فأحله محله.

إنّ مفهوم القيادة يجعلنا وجها لوجه امام معنى الطموح الإنساني الذي لا حدود له، فكل مقام فيه يعلوه مقام آخر، ولكن هذا الطموح لا ينبغي ان يبلغ درجة (الغرور) الذي يقابله معنى (الضمور)، فعلى من يسابق من اجل تحقيق هذا الطموح سواء في المواقع المعنوية والدينية، او المواقع والمناصب الدنيوية، ان ينظر إلى مواهبه وقدراته، وان لا يتصرف إلا بما يتناسب وتلك المواهب والقدرات. نعم ان من حقك ان تطمح إلى ماشئت من الطموحات، شريطة ان تنظر إلى امرين: احدهما ان تتناسب تلك الطموحات وقدراتك الجسدية والمعنوية والفكرية والقيادية، والثاني ان تكون أهداف ذلك الطموح أهدافاً إنسانية إيمانية وليست أهدافا ذاتية مصلحية، وهذان المحددان هما اللذان يجعلان لطموحك معنى من اعلى المعاني

وأسماها، وأقربها إلى التوفيق الالهي من خلال استجابة الدعاء، وكيف يستجيب الله دعاء من لا يتحقق في طموحه ودعائه هذان الشرطان ؟![1].

---

[1]. ينظر ، دعاء الاستخارة في الصحيفة للامام زين العابدين (اللهم إن كان في هذا الأمر خير لي فى ديني ومعاشي وعاقبة أمري فيسره لي وإن كان في هذا الأمر شر لي فى ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني، ويسر لى الخير أينما كان ثم ارضني به).

ومما يقال في هذا المجال إنّه ان لم يكن المرء أكبر من الموقع الذي يطمح اليه، فلا اقل من ان يكون بحجم مستواه. اما إذا لم يكن لا بهذا ولا بذاك، فتلك هي (الحالقة)[1] التي تورد العباد المهالك، وتجعلهم يوم (الحسرة) اكثر الناس حسرة!!

[1]. الحالقة : هي المهلكة التي تأتي على الشيء من اصله وعرقه.

رسائل من القرآن الكريم: 12

(إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ) النور: 15

<u>سماع وقول :</u>

تسمعون القول او الخبر فتديرونه بينكم، وينقله او يرويه بعضكم عن بعض، وتصطنعون الاسئلة حوله بصيغ مختلفة من مثل : أما سمعتَ مايقال عن فلان او فلانة ؟ أتدري ما يدور في المدينة او القرية او الدواوين ؟ مما يشوّق السامع إلى تلقي الخبر، ليقوم بدوره، بإشاعة الخبر، واصطناع الاسئلة، كل بقدرته على الصياغة اللغوية والتعبيرية، دون ان يتحقق من الخبر، او يمحص القول، وكأنه يعبر عن فطرة لدى الانسان في تسقّط الأخبار وإشاعتها بما يشبه اللذة او المتعة او حتى الصنعة!

ان حياتنا كلها سماع وقول، ولكن اي سماع وأي قول ؟ وهل وظيفة هاتين الحاستين هي استقبال وارسال فقط، ام تمرير على رقيب وضابط لهذا الاستقبال والإرسال ؟ وهل غير العقل والضمير ضابط ورقيب ؟ والا لصارت حواسنا اجهزة تشتغل شغلا ذاتيا من دون ان يكون لها هدف او رقيب يتابع تحقيق الهدف من عمل هذه الأجهزة.

قيل لرسول الله (صلى الله عليه واله) : يارسول الله، هل نؤاخذُ على ما نقول قال :ويحكم،وهل يكب الناس على مناخرهم يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم !)([1]).

والملاحظ ان سورة النور حشدت الايات من 1 إلى 26لهذا السماع والقول على تفاوت من أنواعهما وخطرهما على الأفراد والمجتمعات، فمن تفكّهٍ خفيف بالحديث، إلى تفكّهٍ هادف ومقصود، هدفه قذف المحصنات من النساء، والرغبة والشغف بالاطلاع على عورات الآخرين من النساء والرجال، وكشف خصوصياتهم، وجعلها عرضة لمرضى النفوس الذين يوظفون قدراتهم التعبيرية والتصورية في الحديث عن عيوب الناس، ويجدون في ذلك لذة ومتعة، ان لم يكن وراءه هدف مادي او فكري يقصد فيه إشاعة الفاحشة في أوساط المجتمع.

ولقد شدد الله النكير على محترفي هذا السماع والقول، ولولا رحمة منه لاوشك ان ينزل عليهم غضبه وعذابه الأليم.(.وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)([2]).

واذا كان نشر هذا السماع محدود الأثر في المجتمعات القديمة، فان اثره اليوم بالغ وشديد، مع توفر كل الأدوات والوسائل عبر التواصل الاجتماعي في هذا

---

[1]. روى الترمذي عن معاذ عن رسول الله قوله : يامعاذ، أَلَا أُخْبِرُك بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُك بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ فَقُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْك هَذَا. قُلْت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْك أُمُّك وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ –أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ– إلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!رقم الحديث :(2616)

[2].سورة النور : 14

الزمن، حتى باستطاعتك ان تقول انها قادرة على تحطيم سمعة الآخر فرداً كان او دولة، وصرف الناس عنه وتحاشيه واتخاذه عدوا، ولم يكن هو كذلك!

وخلاصة الرسالة القرآنية ان الانسان يجب ان يكون شديد الحذر في استعمال حواسه إلا في المعروف وتوظيفها في ما خلقها الله، وان تكون منسجمة مع هذا الهدف، ولا تكون مرتعاً للشيطان، ولا وسيلة لتحقيق أهداف الذين يريدون إشاعة الفاحشة في المجتمع وتمزيق اللحمة والوشيجة بين أفراده.

رسائل من القرآن الكريم: 13

(مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ)

يوم الدين:

سورة الفاتحة سورة عظيمة، وكل سور القرآن الكريم عظيمة، فهي فاتحة الكتاب، وام الكتاب والسبع المثاني ....ولذلك عني بها المفسرون أيّما عناية، فهي تتضمن المقاصد العظمى في الدين، مابين توحيد الربوبية وعظائم فضلها ورحمتها، وبين علاقتها بمخلوقاتها، وما ينبغي أن تكون عليه هذه المخلوقات، وخاصة البشرية منها، من هداية وطاعة، ومايؤول إليه شأن هذه الحياة من نهاية واستقرار يوم القيامة. ويفترض ان يتأمل المكلف في هذه السورة حرفاً حرفاً وكلمة كلمة وآية آية، لانها تلازم يومه كله، ليله ونهاره وفي ركعاته الواجبة والمستحبة، وكلما تعمق في التامل والفهم، احس بعظمة الله وفضله وعمّق العلاقة به، وازداد خشوعاً وإخباتا له.

ولنقف في رسالة اليوم عند آية يوم الدين، ولنتأمل جانبا من جوانبها الكثيرة،فهو يوم القيامة ويوم الحساب ويوم الجزاء، واليوم الآخر ، وهو يوم الدين كله،وقد ارتبط ذكره بذكر اسم الله في كثير من ايات القرآن الكريم : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ)([1]).

[1]. البقرة : 8

وهذا التلازم يوحي بان عظمة التوحيد تتجلى في هذا اليوم، وانه لا توحيد لموحد إلا بالإيمان بهذا اليوم يوم المعاد والمآل، وان مشكلة المشركين انهم قد يؤمنون بالله، ولكنهم دائما على شك وريب من البعث واليوم الموعود: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ) (2). ثم يحكي القرآن الكريم عنهم في موضع آخر : (بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ.أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ)([1]).

إنّ الاعتقاد بيوم الدين يمثل كلية كبيرة من كليات العقيدة الاسلامية ذات قيمة في تعليق أنظار البشر وقلوبهم بعالم آخر، بعد عالم الارض، انها مفرق الطريق بين الانسانية في حقيقتها العليا التي ارادها الله لعباده، وبين الصورة المشوهة المنحرفة لهذا الكائن البشري على وجه الارض. ولن تستقيم الحياة البشرية على منهج الله الرفيع ما لم تتحقق هذه الكلية في تصور البشر، وما لم تطمئن قلوبهم إلى ان جزاءهم على الارض ليس هو نصيبهم الاخير، وما لم يثق الفرد المحدود العمر بان له حياة اخرى تستحق ان يجاهد لها، وان يضحي لنصرة الحق والخير معتمدا على العوض الذي يلقاه فيها.

ولك ان تتصور انه لو لم يكن موت ولم يكن يوم آخر، فكيف سيكون سلوك وتصرف هذا المخلوق الذي اسمه الإنسان !

علما ان المفسرين وقفوا عند قراءتين مشهورتين متواترتين :(مالك)، و(ملك)، وكان رأي الطبري بترجيح قراءة (ملك) على (مالك) حين قال : (وأصح القراءتين

---

[1]. الزمر : 38.

عندي قراءة من قرأ ملِك بمعنى المُلك، لان في الإقرار له بالانفراد بالمُلك ايجابا بانفراده بالمِلك،وفضيلة زيادة المِلك على المالك، اذ كان معلوما ان لا ملكَ إلا وهو مالك، وقد يكون المالك، لا ملكا([1]). (ان مع قراءة (ملِك) القدرة والقوة والسيرة والحكم المطلق، وهي كلها لله الملك الحق مالك الملك في الدنيا، ويوم الملك الأكبر (يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ) ([2]).

[1]. quran.Ksu.edu.sa. وينظر : الميزان للطباطبائي،ج11،ص15.

[2]. غافر : 16

رسائل من القرآن الكريم: 14

(وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا)

(وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ) الكهف: 81-83

<u>أولادكم، أولادكم!</u>

يربيانه، ثم عندما يكبر يرهقهما طغياناً وكفراً، أيْ يحملهما حبه على متابعته في الكفر، فكان من رحمة الله ان قتله الخضر، ولو بقي لكان فيه هلاكهما ورِدّتهما إلى الكفر!

يالها من مفارقة، بعد هذا الجهد الجهيد في التربية، يكفر الولد، وفوق هذا يحمل والديه على الكفر بعد ان كانا مؤمنين، والحال انه لابد ان يكون على منهج والديه ديناً وخلقاً وبراً في حياتهما وبعد مماتهما.

وتشير الاية الثانية (وكان تحته كنز لهما) إلى حرص الوالدين على حياة ولديهما، اجل، كانا يكدحان العمر كله من اجل ان يخلفا لولديهما مايقوّت حياتهما، وليكونا قريَري العينين حتى لا يلجأا بعدهما إلى التسول!!

وبينا هم كذلك إذا بالزرع الذي زرعاه يكونُ حطاماً، بل يكون فيه ما ينغص حياتهما بالمعاملة السيئة او بالذهاب إلى الكفر والطغيان، وفوق هذا حمْل الآباء

على ان يسلكا مسالك الأولاد في الكفر نتيجة عاطفة الأبوة التي قد تغلب عاطفة الدين والمبادئ احيانا !، ونحيلكم إلى الآية 266 من سورة البقرة كيف يصور القرآن الكريم الحالة النفسية للأب الذي كانت له ذرية فيهبُّ الإعصار على جنته المليئة بالنخيل والأعناب فيحيلها رمادا، وكانت أمله وذخره الذي يريد ان يخلّفه إلى الأولاد من بعده!!

وفي حياتنا المعاصرة مصاديق كثيرة لهذه الحالة، من حيث حرص الوالدين على الأبناء، وعقوق الأبناء لهما، بل حملهما على تأييدهما لهم في مناهج الضلالة والكفر والطغيان.

وقد راينا من العلماء في عصرنا هذا، وهم قلة والحمد لله، من تذهب به العاطفة الأبوية الى السكوت على ضلال اولادهم، وربما الدفاع عنهم، وتبني مواقفهم، لا اقتناعا بها، ولكن استجابة للعاطفة الفطرية التي لا ينبغي ان تكون اعظم وأولى من مبادئ الدين والقيم.

وهكذا هي مواقف النفوس، مابين قوة وإصرارِ وتضحية بالمال والأولاد والأنفس، ومابين نكوص وضعف وطاعة للعواطف الهابطة !!.

رسائل من القرآن الكريم: 15

(فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا. قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا.قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا. قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) الكهف: 65- 69

<u>وفوق كل ذي علمٍ عليم :</u>

ذلك ما كان من أمر موسى (عليه السلام) والخضر، اذ بدأ موسى مستسلما راضيا بما سيفعله الخضر دون قيد او شرط، وانتهى إلى اعتراضه على كل ما فعله الخضر في المواقف الثلاثة التي ذكرت في القصة: (قصة الغلام وقصة السفينة وقصة الجدار).

إنّ موقف موسى المستسلم للشروط، لم يكن له فيه رأي، وانما هو مأمور من ربه، ليستزيد علما وتجربة، وليشعر انه مهما أوتي من علم وتجربة، فان هناك من هو اعلم منه، في سلسلة تراتبية من العلم والتعلم حتى ينتهي الأمر إلى عالم الغيب والشهادة (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) [1].

وذلك ما كان من أمر النبي المأمور في ان يفعل ما يؤمر به، وأعطي حرية التصرف والاعتراض على ما لم ير فيه مصلحة ظاهرية ووفق ما يتبناه من

[1] . يوسف : 76.

مبادئ عقدية ، ولكنا نريد ان نسحب هذه القصة او الحدث إلى واقعنا نحن البشر، وبحدود طاقتنا، وبحدود الحرية التي مُنحت لنا، ومسؤولية القرار الذي نتخذه والأفعال التي نفعلها طواعية في علاقاتنا التراتبية مع مسؤولينا الإداريين او السياسيين، فهل يصح ان نقر لهم إقراراً على ورق ابيض، دون قيد او شرط، كما فعل موسى اول الامر، مع الفارق في الأمور كلها، ام يكون يكون لنا راي ونقاش وحوار ينتهي إلى القناعة التامة بالعمل الذي نكلف به ؟

ما من شك في انه كلما كانت الرسالة بين الآمر والمأمور، بين القيادة والقاعدة، واضحة، وكلماكانت أبعاد واهداف العمل وطبيعته وغاياته واضحة، فان قدراً عاليا من الانسجام والطاعة والاستجابة سيتحقق، وكلما كان الأمر فوقياً على طريقة (نفذ ثم ناقش) كان الأداء ميكانيكيا، خاليا من كل روح، ومن ثم خاليا من كل ابداع، ومردود إيجابي فعال.

إنّ الاتباع الأعمى للجهات الفوقية دونما فهم او استيعاب يشير إلى أحد أمرين :

الاول : ان المأمور ينظر إلى الآمر الاجتماعي او الإداري او السياسي بقدسية وانبهار واعجاب إلى الدرجة التي تعفيه من الفهم ومعرفة الدوافع للأعمال التي يؤمر بأدائها، ويبرر ذلك مع نفسه ان عمله هذا عمل عبادي بعيدا عن الأنا والذات والمنفعة.

وأما الثاني من امر الطاعة العمياء والاستجابة الخرساء، فوراءها المنفعة والمصلحة التي تتحقق.

وما دام الأمر كذلك، فستكون الطاعة تامة، وسيكون الاستسلام كاملا، مهما تكن نتائج تلك الطاعة وذلك الاستسلام مادام يحقق المصلحة الذاتية، ولتذهب مصلحة الدين والوطن والقيم الإنسانية إلى اذهان الناس غير الواقعيين، والناس الخياليين الذين لا ينتهزون الفرص لإشباع اكبر قدر من المنافع والمصالح .

رسائل من القرآن الكريم: 16

(وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ....) الكهف : 19

<u>حسابات الزمن والنصر :</u>

في سورة الكهف عبر كثيرة، ومفاهيم روحية واجتماعية وعلميّة وحركية متنوعة، ونود ان نقف عند رسالة واحدة نفهم منها ان الله – سبحانه – اراد ان يرسلها إلى البشر، وهو اعلم بمراده.

ومن مفردات هذه الرسالة:

1. ان مقايس هذا الزمن ومقاديره وممده عند الله غير ما عندكم، ولا يمكن لكم ان تحيطوا به، فهو من مكنونات علم الله وقدرته، يتصرف به كيف يشاء، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا.
2. ان الله قادر على ان ينصر عباده الذين امنوا به، ورفضوا مفاهيم الشرك في مجتمعهم وآمنوا بالله وحده، ينصرهم في لحظة واحدة او بعد حين، والا مامعنى ان يجمد حركة هؤلاء الفتية ثلاثمائة وتسعة أعوام، إلا ليقول لهم ان الله حافظهم، ويعيدهم اليه ولو بعد هذا الزمن الطويل، وهي رسالة إلى المجتمع الذي أنكرهم وأنكروه، مؤداها ان هؤلاء الذين لو تمكنتم منهم

لقتلتموهم ولاعدتموهم الى ملتكم، هؤلاء حفظناهم وأنجيناهم منكم، فاعتبروا ياأولي الأبصار! [1].

3. ان الذي يؤمن بربه ويتوكل عليه، ويصر على رفض الالهة من دونه، ويبلغ رسالته، تكون له عقبى الدارين، الدار الاولى : اذ لم يُمتْهم بل أبقاهم حتى يروا مجتمعهم ثانية، وحتى يعلموا ان صمودهم سيكون عبرة لذلك المجتمع، الذي سوف يعيد النظر في عقيدته، ويعيد النظر في التعامل مع المخالفين له في عقيدته، والدار الثانية : حيث النعيم المقيم والرضوان الالهي ولمثل هذا فليعمل العاملون.

4. ان الهدف من ارسال الكتب السماوية وارسال الايات وابتلاءات الخير والشر، انما كان ويكون لتذكير الإنسان، وإعادته إلى فطرته التي فطره عليها، وهي العبودية لله، وإنكار من دونه، وان الله– سبحانه – لا يبتغي لهذا الإنسان إلا الخير، ولكنه !!!.

[1]. في ظلال القرآن الكريم، مج 4 ، ص 2264.

رسائل من القرآن الكريم: 17

(وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا) الفرقان : 67

التوازن بين الإنسان والطبيعة:

هذا هو الاعتدال في السلوك البشري، وهذا هو التوازن بين ما يجب فعله، وبين ما لا يجب فعله في حياة هذا المخلوق الذي اسمه الانسان. وهذا ما ينبغي ان يحدث في سلوك الانسان الفرد وفي سلوك الأفراد والمجتمعات، لان الحياة البشرية لا تعيش بمعزل عن حركة الكون المنظور وغير المنظور، فهذا الكون هو الذي يقول عنه خالقه : (وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ) [1]، ويقول :(إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ)[2].

فكل شيء في هذا الوجود بقضاء ومقدار، وبأوزان دقيقة فوق ما يتصور البشر، فلا ينبغي ان ينفصل الناموس البشري والسلوك البشري عن الناموس الكوني إلا إذا خرج الإنسان عن إرادة ربه. وهذا هو الذي لا ينبغي ان يكون، ولكنه كائن ! لان هذا الانسان يملك الحرية في ان يتمرد ولا ينسجم مع حركة الكون ومقاديره، وهو الكائن الوحيد الذي يملك ذلك، ولم يحسب انه يخرب حياته، ويعرض نفسه إلى الضرر في الحياة الدنيا، والنهاية السوأى في الآخرة.

---

1. والحجر : 19

2. القمر : 49

إنّ الإنسان عموما يظن أنه حر في ان يتصرف في ماله كيف يشاء ، كما هو حال الانسان في المجتمعات الرأسمالية، يفسد في المال، ينفقه على ما يدمر الحياة الانسانية، يشعل الحروب فيه، يشعر أنه ليس جزءا من توازن الكون، وليس جزءا من التوازن في الحياة البشرية، وهذه الحرية الطاغية لا ندري اين ستنتهي بهذا الانسان، إلا ان يقول (أنا الله) وقد قالها!!

لقد ذكر الله – سبحانه – في آية الفرقان هذه ما ينبغي ان يكون عليه انفاق الانسان فلا هو انفاق مع تبذير وإسراف، ولا هو بخل وإقتار على النفس والعيال.

علما ان الإنفاق في طاعة الله ليس له حد، وكلما زاد كان طاعة، ولم يعد إسرافا، بينما كل ما انفق في معصية الله قل او كثر فهو إسراف!!

ذلك هو خلاصة الأمر، فكما ان في الكون مقادير موزونة، كذلك ما يجب ان تكون عليه حياة الأفراد والمجتمعات في التوازن في الإنفاق وفي كل شيء (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ)[1].

والإسراف والإقتار كلاهما يحدثان خللا في المحيط الاجتماعي والمجال الاقتصادي، وبما لهذين المجالين من اثر في المجال النفسي وفي مجال البناء المادي للحياة.

[1] ينظر ، تهذيب التفسير الكبير ، للرازي ، السيد حسين الشامي ، مج5 ، ص301.

رسائل من القرآن الكريم: 18

(وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا) الفرقان : 30

<u>هجر القرآن الكريم:</u>

كان هذا القول من الرسول (صلى الله عليه وآله) شاكيا إلى الله مما لقي من قومه، حين واجهوه بالتكذيب، ووصفوا القرآن الكريم بالسحر، والرسول بالساحر وحاربوا القرآن الكريم بشتى الوسائل، بالسخرية مرة، وباللغو فيه اخرى، ومع ذلك كله، كان الرسول يواجههم بالحلم والصبر، مستمدا من ربه العزيمة والإصراروالمضي في طريق الدعوة الى الله وكان الله –سبحانه – يسليه ويعده بالنصر والجزاء في الدنيا والآخرة.

ولو ان الرسول دعا عليهم،كما دعا نوح – عليه السلام – على قومه ، اذ قال : (رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا)[1]لأخذهم الله بالعذاب، كما اخذ قوم نوح، ولكنه الرحمة المهداة التي كان من ثمارها تلك الامة التي أخرجت للناس مبلغة برسالة الله، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، بعدما كانت أمةَ جهلٍ وعدوانٍ وضلال.

واذا سحبنا حالة هجران القرآن الكريم من زمن النبوة على واقعنا المعاصر، فإننا نجد وضعا مختلفا ومتشابها في الوقت نفسه : مختلفا من حيث ان المسلمين اليوم يؤمنون بالله وكتابه ويصدقون رسوله، ولايكذبونه، ولكن نقطة التشابه

---

[1]. نوح : 26.

الجزئية هي ان المسلمين اليوم عموما تعاملوا مع القرآن الكريم تعاملا شكليا، أحرفاً وكلمات وأصواتا وتقديسا للبركات والمناسبات، ولم يتدبروا معانيه، ولم يعرفوا وظيفته، وهو الدستور الحياتي الذي أنزل ليستضيئوا بمنهجه في مفردات الحياة كافة، الروحية والفقهية والاجتماعية والسياسية، فلم ينزل هذا القرآن الكريم لكي نقف عند تجويد قراءته – ان وجدت – ولم ينزل أحرازا للمرضى، او قراءة على الأموات، بل هو قران لإصلاح الحياة وطبعها بطابع العبودية لله وإقامة العدل والقسط بين الناس،: (لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ)[1]، وإقامة الحكومة الإسلامية والنظام الذي ينظم أمور الناس وفق المنهج الالهي المرسوم للبشرية. وهذه وظيفة الرسل والكتب السماوية كلها (ليقوم الناس بالقسط).

فأين المسلمون اليوم من هذه الوظيفة العظمى للقران الكريم، وواقع حالهم انهم غرباء الوجه واليد واللسان ؟، فليس للقران في واقعهم، كلمة ولا رأي، وليس لهم منه إلا القداسة والتكريم والمسابقات التجويدية، وهي على أهميتها وروعتها ليست الغاية النهائية من انزال القرآن الكريم.

ان عدم تدبر القرآن الكريم اليوم هجران له، وان عدم التبليغ به وبمبادئه هجران له، وان عدم رفعه دستورا للحياة هجران له. ولك ان تتصور مدى المسافة بين المسلمين و قرانهم اليوم، ولك ان تفسر لماذا نحن اليوم بهذه الأحوال ؟ ألم يكن بسبب هجراننا القرآن الكريم بالمعاني التي اشرنا اليها؟

---

1. الحديد : 20.

رسائل من القرآن الكريم: 19

(مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) فصلت : 43

كما كان اسلافهم:

لا تستغرب يامحمد من انكار المنكرين لدعوتك، والمكذبين لك، فقد فعلها الأقوام الذين واجهوا أنبياءهم بالإنكار والتكذيب من قبلك، فتلك سنة من سنن الله في الخلق، اذ ان اكثرهم الفاسقون وأكثرهم الكافرون وأكثرهم الظالمون، (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ)[1]. وماعليك إلا ان تصبر، وتمضي في تبليغ رسالتك، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، فليس عليك هداهم ان هم استحبوا العمى على الايمان ، فأنت منذر وانت مبلغ عن ربك، (فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ .لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)[2].

وقد سبقك رسل وأنبياء ومصلحون في طريق الدعوة إلى الله، فما وهنوا وما استكانوا وما ضعفوا لما اصابهم في سبيل الله، وبين جنباتهم قلوب مفعمة بحب الله، وبصائر تهتدي بنور الله، وتعمل بوحي من الله، وليس بضارك معاندوك ومناوئوك شيئا مهما عظمت قوتهم ومهما كثرت خيلُهم ورجِلُهم.

---

1. يوسف : 106

2. الغاشية : 21-22

(ان ربك لذو مغفرة) لهم ولغيرهم ان تابوا ورجعوا إلى الله توحيدا ومنهجا وتصديقا برسله .

(وذو عقاب أليم) لهم ولغيرهم ان استمروا على ديدنهم في تكذيب الرسل ومعاندتهم.

وهذه من صفاته سبحانه، فهو غفور رحيم، وفي الوقت نفسه شديد العقاب، ف(يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ)[1].

وفي يوم الناس هذا، يواجه الموحدون والداعون إلى منهج الله وشرعه ما واجهه قدواتهم من الانبياء والمصلحين، حالة بحالة، ورمزا برمز، افرادا وأمما، وعقائد ومناهج وديانات، اغلبها تناوئ الاسلام وتقف من دعاته مواقف الإنكار والرفض، بل بالمواجهة والحرب المعلنة والسرية، والعسكرية والإعلامية. والتوجيه الالهي لهؤلاء السائرين ان يمضوا على خطى الانبياء، ولا يضرهم من ضل، ولا يثني عزمهم من ملك القوة والسلاح والمكر والدهاء، فإنها سنة الله في خلقه، وكلما ادرك الدعاة الى الله هذه السنة وهذه المواقف من البشر، ازدادوا اصرارا على تبليغ منهجهم والدعوة اليه، وليس يمنعهم مايعانونه من اذى او تكذيب، فقد كُذّبَ الانبياء من قبلهم، وهم النماذج العليا والقدوات الذين يقتدى بسيرهم ومواقفهم،(وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ)[2].

---

[1]. الانفطار : 6

[2].ال عمران : 20.

رسائل من القرآن الكريم: 20

(وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا.يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رحيما) الفرقان : 68-70

<u>الذنب العظيم والتوبة المتميزة:</u>

في القرآن الكريم كله (وعملا صالحا) إلا في الفرقان (وعمل عملا صالحا).

ترى ما تعليل ذلك ؟

ان الذنوب تتفاوت في حجمها ودوافعها وآثارها الفردية او الاجتماعية والعقدية، فكان الخفيف منها وربما المتوسط، يكفيه التوبة والعمل الصالح ليغفر الله له، ويشمله برحمته، ولكن ذنوبا عظيمة مثل الشرك والقتل والزنا لا ينفع معها إلا توبة (نصوحا)، ومعها عمل صالح مضاعف ، لتكون بعدها المغفرة. فالذنب العظيم لابدان تكون معه توبة خاصة، وعمل مضاعف عميق الأثر. ولهذا زيد إلى التعبير (عمل عملا صالحا)

والايات في القرآن الكريم كلها (عمل صالحا)فقط، فكان لذكر المفعول المطلق (عمل عملا)اثره، وهذا غير ما إذا قُدّر تقديرا، والله اعلم.

فلنحذر من الماحقات الحالقات من الذنوب، فان مصيرفاعلها جهنم مضاعفة إلا برحمة منه وعمل بارز عظيم يشفع عند الله بالمغفرة. ولولا رحمة منه لمس المذنبين بتلك الذنوب العظيمة عذاب أليم.

إنّ من تلك الذنوب ماهو عقدي يمس العقيدة بخروج الانسان من رحاب التوحيد إلى ضيق الشرك، ومنها ما يحدث خرقا لجلال قدر الانسان عند الله، وذلك بالجرأة على قتله، ومنها ما يلوث النقاء الإنساني ويخلط الأرحام مثل الزنا، كل ذلك كان سيئه عند الله مكروها،ولهذا كان يجب ان يستتبعه عمل عظيم يمحوه، مع شمول الرحمة الإلهية للعباد (ولولا فضل الله ورحمته، وان الله تواب حكيم)[1]، فانظر إلى سعة رحمة الله، فلم يكن، بعد تلك الذوب العظيمة،مغفرة فقط، بل استبدال تلك الذنوب حسنات (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات). فما أرحمك يارب ! فأنت الذي اسمك الرحمن، وما الرحمة بصفة خارجة عنك، بل انت الرحمة ذاتها، فأنت (الرحمن) الذي وسعت رحمته كل شيء.

1. النور : 10.

رسائل من القرآن الكريم: 21

(رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ)[1]

(رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ)[2]

(وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا)[3]

<u>الصلاة والتقوى:</u>

ترى لماذا يقدم سيدنا إبراهيم الصلاة في دعائه لنفسه ولذريته ؟

ولماذا يجعل سبب إسكان ذريته بواد غير ذي زرع من اجل ان يقيموا الصلاة ؟

ثم لماذا اول ما يوصي الله عيسى (عليه السلام) بالصلاة ؟

ثم لماذا يكون سبب ادخال المجرمين في سقر لانهم لم يقيموا الصلاة، باعترافهم، اولا ؟

(مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ؟قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ) [4] وواضح ان الصلاة هي التجسيد الحي للعبودية لله والصلة القريبة منه، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو

---

1. إبراهيم : 37.
2. إبراهيم : 40.
3. مريم : 31.
4. المدثر : 42-43.

ساجد. ثم انها ليست مناسباتية كل شهر او كل سنة مرة بل انها يومية، وبخمس أوقات في اليوم، وبسبع عشرة ركعة في الصلاة الواجبة يوميا، وبأربع وثلاثين ركعة من النوافل المستحبة ، و الى ما شاء الله لمستزيد!

ثم انها هي التي تنهى العبد عن الفحشاء والمنكر، وهي كذلك التي تجعله دائم الذكر لله، ودائم القيام بأعمال البر والإحسان، شريطة حسن إقامتها في ذاتهاودعوة الناس اليها وجعلها عرفا قائما و سائدا بينهم.

ولعل هذا من الواضحات، ولكننا نريد ان نشير إلى ملحظ حياتي بيننا، وهو اننا نجد الكثير من الناس يصلون الصلوات الواجبة والمستحبة، وربما يتقنون أداءها، بل ويؤدون العبادات الأخرى بالتمام والكمال ويدخلون في ادق تفاصيلها فقها، ولكننا، في واقع الحال، نجد الناس انفسهم هؤلاء او اكثرهم يكذبون ويتعاملون بالغش ويخدعون ويسرقون.....

ترى ما السبب، او ما الأسباب ؟

يبدو اننا لا نفرق بين العبادات والتقوى، اذ المعلوم ان العبادات وسائل لتحصيل التقوى، وليست هي التقوى بذاتها، فمن لم يوفقه الله لتقواه، ومن لم يسع ويجاهد نفسه لأن يتقيَ الله، ويعرف من هو الاله الذي يعبده، لم تفده عبادته، وان صلى وصام، ولن تكون عبادته جُنة من اجتراح المحرمات، وربما لن تكون له جُنة من النار!!

وطبيعي جدا ان من يتقِ الله، تأتِ معه العبادات طيّعة، ومن باب تحصيل الحاصل، ولكن من لم يتق الله، فلن تكون عباداته ضامنة لرضا ربه ، وربما تكون مدخلا لغضبه، والعياذ بالله.

رسائل من القرآن الكريم: 22

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ) المجادلة : 11

<u>في أدب المجالس:</u>

في الآية الكريمة توجيه للجماعة المؤمنة الناشئة، ولمن يليهم من القرون، والى ماشاء الله، إلى توسيع قلوبهم الى محبة الناس وتقديرهم واشعارهم بالألفة، وذلك من خلال هذه الحالة : حالة افساح المكان للقادم الى المجلس وتمكينه من الجلوس على الرغم من ازدحام المكان، سواء كان القادم من عامة الناس او من خاصتهم من ذوي الفضل والمنزلة في الدين.

وفيه رفعة لمن يفعل ذلك ويقتل الأنا في ذاته، حتى لو استدعى الأمر إلى أن يقوم من مكانه للقادم إلى المجلس إجلالا وتأدبا، وبعدا عن الحرص والأثرة.

والله يرفع المؤمن الذي يفعل ذلك درجة عنده، وان كنا لا نعلم علم اليقين لون وحجم وفسحة هذه الدرجة. وان كانت درجة واحدة للمؤمن فإنها لدرجات كثيرة وعظيمة للمؤمن العالم الذي ازداد فوق الايمان علما بتوحيد الله وفِقْه دينه والاستنان بسنة رسوله (صلى الله عليه واله).

ويفهم من قوله (واذا قيل لكم انشزوا فانشزوا) اي انهضوا في مثل هذا الموقف وفي كل موقف فيه للإسلام أمر ورفعة واعلاء، وخدمة للمؤمنين، فهو

ليس خاصا لمثل موقف التفسح في المجالس، بل قد يكون عاما في كل نهضة ومسارعة إلى طاعة الله.

وتُختتم الاية بقوله تعالى (وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ) كعادة القرآن الكريم في الأحكام او التوجيهات الاجتماعية والأخلاقية، فانه يقرنها بالمشاعر المتعلقة بعظمة الله وثوابه، لتكون الاستجابة لتلك الأحكام والتوجيهات سريعة ومتفاعلة، لانها صادرة من رب عظيم، يجزل العطاء دونما حدود لمن سارع وسابق إلى طاعته : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ)[1].

أجل ان في تلك الأوامر والتوجيهات لحياةً أيَّ حياة!!

حياة كريمة في الدنيا وحياة أكرم منها في الاخرة.

1. الأنفال : 24

رسائل من القرآن الكريم: 23

(... فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) البقرة: 256

<u>البراءة من الشرك اولا:</u>

لماذا قدم الله الكفر بالطاغوت على الايمان بالله ؟

نعم، ابتدأ بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله، لأن الكفر بالطاغوت تخلية القلب وتخليصه وتصفيته من كل شر، ويعقب ذلك التحلية بالإيمان بالله عز وجل، فلا يستقيم الإيمان بالله عز وجل إلا إذا صفا القلب وخلص من كل شائبة.

ونظرا لتنوع الكفر وتلونه، وتنوع مداخله إلى قلوب البشر، وضعف مقاومتهم لإغراءاته، وتمكن الشيطان من نفوسهم،إذ اقسم من قبل انه سيضلهم اجمعين إلا الصالحين الأتقياء منهم : (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ) [1]، لهذا جاء هذا التقديم ليكون الإنسان حذرا من أحابيل الشيطان وشراكه وكثرة مداخله.

وقد عبر القرآن الكريم عن تنوع الشرك بالظلمات جمعا، في حين عبر عن الايمان بالنور مفردا : (ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ

1. سورة ص : 82

ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ) [1]، لان النور مصدره واحد والكفر تتعدد مصادره وأنواعه ومداخله.

وهذا هو الذي عليه البشر في الكرة الأرضية اليوم. فمن هندوسية إلى بوذية الى شيوعية إلى مثلية إلى علمانية ملحدة او قومية طاغية غير موحدة، إلى فلسفات ونظريات تتخذ مناهج مضادة لمنهج التوحيد والإيمان، وتعلن محاربتها لهذا المنهج، وتحاصر أهله سياسيا واقتصاديا، وبكل ما تملكه من قوة وسلطان، ويعدّها معتنقوها اديانا وعقائد يبشرون بها، وينافحون عنها في صراع المبادئ والأفكار والعقائد.

هذه طبيعة البشر، لا تصفو عقائدهم من غبش وخلط حتى لدى بعض من يدّعي الايمان منهم،وقد جاء التعبير القرآني واضحا عن هذا المفهوم (وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ)[2]،ولهذا كله اراد خالق البشر ان يجلو اذهانهم وقلوبهم من كل معبود سواه، حتى يتربع الايمان الصافي من كل شرك في قلوبهم، ويقوى، ولا يتزلزل امام رموز الكفر والشرك والضلال، بما لديها من وسائل وما لديها من قوى ترهب اهل الايمان وتخوفهم.

---

1. البقرة : 257.
2. يوسف : 106.

إنّ منْ أفرغَ قلبه من كل شرك، ومن كل معبود، ثم ملأه بتوحيد الله وأخلص له دينه، وبلغ رسالاته وجاهد في سبيله، فقد لجأ إلى ركن ركين وعروة وثقى، وأساس متين، لن يتزعزع ولا يلين [1].

[1]. ينظر ، تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ،مج1 ، ص398.

رسائل من القرآن الكريم: 24

(وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ الحكيم) الروم : 27

<u>المثل الأعلى :</u>

قال صاحب الميزان:

والمستفاد من قوله: (ولله المثل الاعلى) أن كل وصف كمالي يمثل به شيء في السماوات والأرض كالحياة والقدرة والعلم والملك والجود والكرم والعظمة والكبرياء وغيرها ،فالله سبحانه أعلى ذلك الوصف وأرفعه من مرتبة تلك الموجودات، وقد يتصف الإنسان ببعض هذه الصفات بشكل محدود، ولكن الموصوف المطلق والمثل الأعلى الذي ليس فوقه وصف هو (الله)سبحانه وتعالى [1] (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ)[2].

(هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ)[3].

امام هذا الاله المطلق والمثل الأعلى نجد في كل عصر من عصور البشرية آلهة طينية او حيوانية او بشرية تظهر في هذه الجغرافية او تلك، وتحادُّ الخالق

---

1. تفسير الميزان ، مج15 ، ص25.
2. الشورى : 11
3. الحشر : 24

المطلق، ولكن هذه الالهة الهابطة، كما يسميها الشهيد محمد باقر الصدر (ره)، تقف امام مسيرة البشرية وتكبل انطلاقتها وتربط مصيرها بوجودها وطاقتها المحدودة.[1]

ان هذا الانسان وبالإرادة التي أوجدها الله في ذاته لا ينفك يتخلى عن الهة ويبحث ان الهة تنسجم مع تطوره الحضاري، فيتخذ من بعض فلسفاته وأنظمته التي اصطنعها بنفسه الهة جديدة، ثم يزعم انها تمثل المثل الأعلى الذي تنتهي عنده المثل، كما هو الحال من اتخاذ الماركسية او الليبرالية الرأسمالية او الحداثة او ما بعد الحداثة مُثُلاً عليا، ومادرى ان الأجيال الاتية بعده ستبدلها كما بدل هو سابقتها، لانها، وبكلمة واحدة، محدودة وليست مطلقة، وتخضع لنسبية العقل المحدود كذلك.

وتبقى هذه الالهة الهابطة تغشي أبصار مريديها ولا تنتهي بهم الا الى ضلال وحيرة، ويبقى مالك الملك هو المثل الأعلى الذي يرسم للبشرية مسارها ويهديها للتي هي أقوم سبيلا، لا لتكون هي المطلق، بل لتستمد نورها من النور المطلق والمثل الأعلى.

---

[1]. المدرسة القرآنية ، موسوعة الشهيد الصدر ، مج19 ، ص121 وما بعدها.

رسائل من القرآن الكريم: 25

(وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا) الفرقان : 64

ما معنى (يبيتون) ؟

يقال لمن ادرك الليل : بات ، نام او لم ينمْ. وقال ابن عباس : (من صلى ركعتين أو أكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجدا وقائما)[1].

والمؤمنون يتفاوتون في أداء عدد الركعات فمنهم من يصلي صلاة الليل الاحدى عشرة، ومنهم من يصلي الثلاث ، والذي يضيق عليه الوقت يؤدي ركعة الوتر الواحدة، فهم على تفاوت في الاستطاعة، وعلى تفاوت في المسابقة إلى ماشاء الله من القيام ركعا سجدا لله ربهم.

ان الإكثار من الذكر صلاة وقرانا و استغفارا وتسبيحا....كل ذلك مما يستحب للمؤمن اداؤه، وهو جزء من البناء الروحي للمسلم، وجزء من تقوية العلاقة بالله سبحانه، ولكن الموضوع الذي اريد ان اقف عنده هو نوع الايات التي نقرأها في صلوات الليل وعدد تكرارها والأذكار التي نرددها ومرات تكرارها.

ان التوجيهات التي نتلقاها من الروايات في كتب الادعية تحتاج إلى وقفة تامل من حيث آثارها على روحية المصلي وسلوكه، فهذه التوجيهات لا نرى انها تسهم في صناعة المسلم الروحاني الواعي، لان المراعى فيها هو الكم . ان المصلي مع تلك الاية التي يتكرر ذكرها آلاف المرات او المئات في الركعتين او الركعات،

1. Fatwa, https://www.islamweb.net

تتركه في أعياء لا يرافقه وعي ولا خشوع ولا تامل في عظمة الله وقدرته في الانفس والآفاق.

ولكي لا يكون كلامنا عاما انقل اليك نصا من مئات النصوص في أعمال الأيام والشهور خاصة في اشهر رجب وشعبان ورمضان وذلك في كتاب (مفاتيح الجنان) انموذجا، وهو كثير التداول بين المؤمنين لكي تعرف مدى الحاجة إلى التامل في آثار هذه الروايات في صناعة الإنسان الواعي الذي يعمق علاقته بالله، وينطلق بتوحيده إلى المجتمع! يقول الشيخ عباس القمي صاحب المفاتيح مايلي:

الثالث عشر، روى السيد في الإقبال فضلا كثيرا لقراءة (قل هو الله احد) عشرة آلاف مرة او الف مرة او مائة مرة في شهر رجب، وروى ايضا ان من قرأ (قل هو الله احد) مائة مرة في يوم الجمعة من شهر رجب كان له يوم القيامة نور يجذبه إلى الجنة.

الرابع عشر، ان من صام يوما من رجب وصلى أربع ركعات يقرأ في الاولى اية الكرسي مائة مرة وفي الثانية (قل هو الله احد) مائتي مرة لم يمت إلا وقد شاهد مكانه في الجنة[1].

بالله عليك ماذا يبقى من وعي الانسان الذي يكرر سورة الإخلاص عشرة آلاف مرة او الف مرة او حتى مائة مرة، إلا ان يكون من اهل (الجذب) و(الشهود) لدى المتصوفة!!

[1]. مفاتيح الجنان ، الشيخ عباس القمي ، أعمال رجب ، منشورات مكتبة الامام المهدي ،ص164

وارجو ان لا يظن ظان اني لا اعرف قدر سورة الإخلاص، او اي كلمة او حرف من القرآن الكريم، فكلام الله واحد من سورة الفاتحة إلى سورة الناس. وعلى الرغم من فضائل بعض السور، فان العلماء في شك من ذكر فضيلة خاصة لكل سورة.

اظن، واسأل الله ان يسدد ظني، ان المؤمن لو قرأ من القرآن الكريم ما يحفظ، او رفعه بيده مفتوحا وقرأ بعضا من اياته تنويعا في ركعات صلاة الليل او غيرها من النوافل المستحبة، مهما كثرت، لكان انفع من قرأ سورة التوحيد او اية الكرسي هذه آلاف من المرات او مئاتها، على عظمتهما وجلال مضمونهما التوحيدي.

ادرسوا الآثار الايمانية للحالتين: تكرار قراءة الاية الواحدة بهذه الأرقام الكبيرة ام قراءة ايات متنوعة من سور طويلة او قصيرة في كل ركعة من ركعات صلاتنا الليلية؟ علما ان قبول الطاعات والمفاضلة بينها ليس بايدينا، ولكنه نوع من التساؤل في صور التبتل وحالاته، وأيها انفع للبناء الروحي. والله اعلم.

رسائل من القرآن الكريم: 26

(قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فاعلين)يوسف : 10

<u>الموقف الضعيف:</u>

رحمة ضعيفة، ورفق باهت، فليس في المواقف الحاسمة وسطية، ولا تردد، وليس ثمة للمصالح او العواطف سهم او نصيب، انما هو الحكم الفصل ، والقرار الفصل، ومهما تكن النتائج، ان كان هناك ما يملأ العقل وعيا، ويملأ القلب عاطفة!!

ذلك ما لم يكن مع اخي يوسف الكبير، لقد كان طيبا، ولكنها طيبة غير نافعة، وليس لها اثر في الخارج، انها تلجلج في الصدر (لا تقتلوا يوسف، وألقوه في غيابة الجب!!...)

أهذا هو الموقف الذي كان ينبغي ان يسجل ؟، لوكان لك موقف لما اشتركت معهم في المؤامرة!!

(ألقوه في غيابة الجب) تعني أسلموه للضياع! أو ليس هذا قتلا من نوع آخر!!؟

ياكبيرهم ! ماهكذا تكون المواقف !! وموقف اخي يوسف هذا يذكرنا بكبير من الشباب آخر ! انه أوسط الشباب وأعدلهم كما وصفه القرآن الكريم: (قال أوسطهم: ألم اقل لكم لولا تسبحون) في قصة اصحاب الجنة في سورة القلم.

ولكن بعد ماذا ؟ بعد ان تآمر مع اخوته على حرمان الفقراء من الزكاة ! فهل يصح ان تتآمر، وتفقد البصر والبصيرة في الليل، ثم تصحو وتقول: (ألم اقل لكم لولا تسبحون) في النهار!!

مهما يكن انه توبة واعتراف ومغفرة من الله، ولكن ماهذا الذي ينبغي ان يكون. ان الذي ينبغي ان يكون : هو موقف صريح برفض قتل يوسف او حتى القائه في الجب، وموقف صريح من حرمان الفقراء من الزكاة.

قد يكون الندم نافعاً، وقد تكون التوبة رحمة، ولكننا نتحدث عما ينبغي ان يكون قبل الندم وقبل التوبة. وثمة فرق بين من يفعل الذنب ويتوب، وبين من لا يفعل السيئ أصلا!!

إنّ الحق لأَبلج، وان الظلم يتلجلج، وما ينبغي لذي عينين وذي بصيرة ان يتردد في الإصحار عن موقفه. مهما يكن، فنحن –بني البشر– على مستويات: اما ظالمون او رافضون للظلم مطلقا، او مشاركون فيه على درجة او اخرى، وعلى وجل، مَثَلُنا مثل اخي يوسف، وأوسط الشباب في قصة اصحاب الجنة في سورة القلم، مع توبة واوبة، والله ارحم الراحمين واحكم الحاكمين...

رسائل من القرآن الكريم: 27

(طه. مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ . إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ).طه 1-3

<u>ماذا وراء التعب في اداء الصلاة ؟</u>

رسالة الى الأمة التي تتّبع الرسول من خلال الرسول نفسه ...أن هذا القرآن الكريم يجعل متلقيه الاول متعلقا بربه عبادة ونسكا وتفرغا، والى حد الجهد الذي يؤدي إلى الإعياء، هو نفسه الذي ينطلق به إلى التبليغ برسالته ومضامينه، وليس الوقوف عند محطة العبادة وحدها، إنه الضوء الكاشف للانطلاقة، وليس نهاية للوقوف عند المحطة الاولى. إنه الوقود المغذي للمسيرة الطويلة، إنه انطلاقة الروح لاعمار الحياة بالنور...وكان المتلقي الاول مستعدا لذلك، فقد بذل مع التبليغ للناس من الجهد ما بذله في محطة بناء الروح الاولى، وذلك حين كان يشقى طويلا في وقوف الليل!

وهناك نوع آخر من الشقاء، وهو كثرة الهم والتفكير في مصير الرسالة التي يحملها، وفي طبيعة اولئك المعاندين الذين يرفضون ويحاربون دعوة الحق ويصدون عنها، ويبذلون كل جهد ووسيلة لمحاربتها ومحاربة الذين يحملونها ويبشرون بها . لقد كان رسول الله (صلى الله عليه واله) كثير الحزن والهم بسبب عدم استجابة كفار قريش لدعوته وتكذيبه، حرصا منه على هدايتهم وتعبيدهم لله، وقد وصف الله سبحانه حالته تلك في كثير من الايات من قبيل

(فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا) [1]، وقوله :(فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ)[2].

ان الرسول منذر ومبشر، وما عليه إلا البلاغ، وليس عليه النتائج انما هي بتقدير من الله، فهو الأعلم بمن اهتدى وهو الأعلم بعاقبة الأمور.

وهي رسالة لدعاة الإسلام في كل زمان ومكان ان يبذلوا كل ما في وسعهم في تبليغ رسالة الاسلام ويتركوا الأمر بعد ذلك لله وحده، ولا يقلقوا ولا يضطربوا ولا يحزنوا على مواقف العباد، وهذه سنة من سنن الله في الدعوة والدعاة من أول الخلق الى آخرهم.

---

1. الكهف : 6

2. يس : 76

رسائل من القرآن الكريم: 28

(فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ. وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ. فَكُّ رَقَبَةٍ. أَوۡ إِطۡعَٰمٌ فِي يَوۡمٍ ذِي مَسۡغَبَةٖ. يَتِيمٗا ذَا مقربة. أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ) البلد 12-16

<u>السبيل إلى اجتياز العقبة:</u>

بينك وبين الجنة -ايها المسلم-عقبة او جبل او حاجز ضخم عن الوصول، وانت الراغب إلى هذا الوصول بشوق ولهفة بعد رحلة من المكابدة والشقاء طويلة، أتدري ماهذا المعول او الدنميت الذي يفجر هذا الجبل ؟ أتدري ما الذي يزيل هذه العقبة الكأداء من أمامك وانت ترى معشوقك من ورائها ويجعلك تقتحم ما كنت تعتقده من الأهوال والمستحيلات ؟ !

إنّه ليس من قبيل اية قوة مادية، انه شيء بين جنبيك لا غير، انه اقتلاع الشح الذي بين جنبيك ...أنْ تحرر الناس من العبودية للآخرين، وان تحررهم من الجوع الذي يضطرهم إلى العبودية لغير الله، فقط ذلك سبيلك إلى الوصول دونما سلاح!

ومن المؤكد انه لن يفعلها، ولن يقاوم ذلك الغول الرابض في القفص الصدري الكبير، الشح المتأصل في النفوس، إلا من آمن ونفعه إيمانه بالتواصي والالتزام بمنهج الله وشريعته، والذي لن ينال إلا بالصبر الذي يقاوم الشح، وبالمرحمة بعيال الله، ذلك الذي يجعلنا فرسانا نقتحم العقبة الكبرى، والسد المنيع الذي يمنعنا من الوصول إلى ذلك الفوز العظيم...إلى (جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن

تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ) [1]

! ولاشيء يذكرنا بالجوع الحقيقي الذي يعانيه إنسان إلا ذلك الجوع الذي عرفناه إبان الحصار الأمريكي على العراق، والا هذا الجوع الذي يشاهده كل لحظة في (غزة) فهل نحن مقتحمون العقبة ؟!!!!

[1].البينّة : 8

رسائل من القرآن الكريم: 29

(بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ ليفجر أَمَامَهُۥ) القيامة: 5

من السنن الذاتية:

مثلما هناك سنن إلهية في الطبيعة و سنن إلهية في المجتمع هناك سنن فردية كامنة في ذات الإنسان، تشكل طابعا عاما لحياته وسلوكه، وهو في كدحه وصراعه مع ذاته يحاول التغيير داخل ذاته، وينجح في هذا التغيير هنا، او يفشل هناك، على ضوء النقاوة التي يبديها لتغيير محتواه الداخلي، ولكنه يبقى في الاطار العام ضمن تلك الخطوط العامة للسنن الذاتية والنفسية في كيانه، والبشر في تفاوت دائم في التقدم في هذا المجال او التأخر.

وقد وقف القرآن الكريم كثيرا عند هذه الصفات النفسية الذاتية للانسان، فهو كفور وكفار وكنود وظلوم وعجول ويؤوس وهلوع وجهول وقتور...

ويبقى الأمر متعلقا به في قدرته على هذا التغيير، ومدى توفيق الله له على ضوء الجهد المبذول والنية الصادقة.

والاية التي نحن بصددها (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه !)، وكأن مظالمه هذه كلها غير كافية ليعبر عن (مواهبه)و صفاته ، فيمضي قدما في الفجور، ولا يريد ان يصده عن فجوره شيء، ولايريد ان يكون هناك حساب عليه، فهو يسأل متهكما بيوم القيامة المزعوم، والذي يهدد به من يؤمن به، او يعد به رب اولئك الذين يؤمنون بخالق لهم !

وفي غمرة هذا الوغول في الكفر والعصيان والغفلة عن القادم، بل الإصرار على المضي في فجوره لا يلوي على شيء ....، في غمرة هذه الغفلة والاطمئنان، تأتيه الصفعة مباغتة، وياتي الانقلاب الكوني الحاسم السريع، وياتي اليوم الموعود الذي حرص على انكاره،

وحينئذ، لا مفر! (فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ، وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ،وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ، يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ)[1] (قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ)[2].

---

[1]. القيامة : 7-10

[2]. عبس: 17

رسائل من القرآن الكريم: 30

(لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ) ال عمران : 196

لا تخدعكم قوة المستكبرين:

جاءت هذه الآية بعد وعد الله للمؤمنين في الايات السابقة لهذه الاية، والمقصود منها تسلية المؤمنين عما يرونه من احوال الكافرين وتنعمهم، وتنقلهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات. والخطاب للنبي والمقصود به عامة المؤمنين. وقد نهاهم الله عن الانخداع بما عليه الكافرون من قوة وسطوة ومتاع دنيوي زائل، وان النصر حليفهم بما كانوا يملكون من قوة الإيمان والعقيدة، وبما كانوا يستعدون لامتلاك وسائل الدفاع.

ويمكننا ان نسحب هذه الاية على واقعنا المعاصر، فنقول : إن المؤمنين لا ينبغي ان تغرهم احوال الامريكيين والاوربيين، وما يملكون من رفاهية وقوة، فعليهم ان يعملوا على ان يكونوا أغنياء وأقوياء، ولا يركنوا إلى البطالة واستجداء النصرة من الاعداء.

ان الذي يعيش اجواء القرآن الكريم ، ويتمتع بالروحية التي يمنحها القرآن الكريم ، ويقرأ التاريخ قراءة قرانية يرى غير ما يرى الآخرون، فيرى ان التغابن والعقاب الالهي ليس في اليوم الاخر فقط، بل هناك تغابن دنيوي يقتص به الله من الظالم ، وينصر المظلوم على الظالم، ويخزي الكفار والمشركين والطغاة، وقد

حدث هذا مع دعوات الانبياء والصالحين واهل الحق في المسيرة التاريخية الطويلة، وان جنهم التي تحيط بالكافرين يوم القيامة يمكن ان تحيط بهم في الدنيا وعلى أيدي المؤمنين[1].

ان الاستكبار بما يملك من قوةحالية، يوحي إلى بعض ضعاف النفوس وقصيري النظر والقارئين للتاريخ بنصف عين بان الرفاهية والقوة التي وصلت اليهما الحضارة الغربية تمثل (نهاية التاريخ)، بمعنى ان الوضع الحالي لهذه الحضارة يمثل قمة ما وصل اليه السعي الإنساني إلى الرقي، ولن يكون اي وضع مستقبلي افضل منه!

وهذا يمثل قمة الجهل بقوانين التاريخ الذي يتطور باستمرار، ولن يتوقف أبدا، وان حالة الاستكبار واستضعاف الشعوب، لن تستمر شريطة ان لا تخدع الشعوب بهذه القوة الظالمة، وان تستعد لاقتلاعها (لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، متاع قليل)، وان توفر كل شروط الدفاع والانتصار، فهم ضعفاء حين نقوى، وأقوياء حين نضعف.

---

[1]. سورة التغابن : 9.

رسائل من القرآن الكريم: 31

(وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) هود: 113

<u>الركون الى الظالمين:</u>

الركن في اللغة: هو الجانب الأقوى الذي تستند عليه، وهو ملتقى الحائطين.

اما معنى لا تركنوا الى الذين ظلموا، فقد ذكر المفسرون ما يلي؛ أن لا تميلوا اليهم، ولا ترضوا عن أعمالهم، ولا تداهنوهم، ولا تستعينوا بهم، ولا تصاحبوهم، ولا تجالسوهم، ولا تزوروهم، ولا تنقطعوا اليهم، ولا تتشبهوا بهم، ولا تتزيوا بزيهم، ولا تمدوا العين الى زهرتهم، ولا تذكروهم بما فيه تعظيم لهم...

وهذا توجيه للمؤمنين وبيان لما ينبغي ان يكون عليه موقفهم من الظالمين، وان هم تعاملوا معهم بخلاف ذلك، فلن يكون لهم نصير من الله، بل سيوكل الله أمرهم الى الظالمين، فلا ينصرونهم، فضلا عن مساس نار جهنم لهم!!

وفي هذاما فيه من التغليظ في التعامل مع الظالمين، فما ظنك بمن يشاركم في ظلمهم، بل ما ظنك بالظالمين انفسهم!!

وقيل لما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين: (عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك: أصبحت شيخا كبيرا، وقد أثقلتك نعم الله بما فهّمك الله من كتابه وعلمك من سنة

نبيه، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء، قال الله سبحانه: (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) [1]، واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت: أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا، ولم يترك باطلا، حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم، وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلما يصعدون فيك إلى ضلالهم، يدخلون الشك بك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم: (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) [2]، فإنك تعامل من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداوِ دينك فقد دخله سُقْم، وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء، والسلام [3].

اقول : مرة تضطر الى التعامل مع الظالم اضطرارا وإجبارا، فيكون هذا لك من باب (التقية)كما في قوله تعالى : (...إلّا ان تتقوا منهم تقاة)[4]، وأما ان يسعى المرء بضلفه إلى الظالم فيميل اليه ويخالطه ويرضى بفعله، فذلك هو الذي توعده الله وأغلظ عليه الوعيد، وان كان مسلما، وان كان مسلما!

ولا حول ولاقوة إلا بالله!

---

1. ال عمران : 187
2. مريم : 59
3. article, httbs ://islamway.net
4. ال عمران : 28

رسائل من القرآن الكريم: 32

(قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ) المجادلة: 1

ما أقربك يارب !

امرأة تشتكي الى الله من ظلم زوجها وتعامله معها بالأعراف الجاهلية.

والذي يهمنا هنا هو ان الله قد سمع صوت هذه المرأة من سبع سموات، واستجاب لشكواها، ورفع مظلوميتها بما أوحى الى رسوله من إلغاء احكام (الظهار)الجاهلية.

كم هو عظيم ايمان هذه المرأة بالله، ويقينها انه سيسمع شكواها،وكم قريب هو هذا الاله الذي يلطف بامرأة عجوز ويسمع شكواها ويبصر حالها...

ألا نكون على يقين بانه سيسمع شكوى الدماء النازفة في غزة، وأنين النساء والأطفال وهم يبادون على يد عبدة العجل وقتلة الانبياء ؟!!

بلى والله انه يسمع ويرى ويستجيب، وهو اعلم كيف يرحم عباده.

وكم هي العبر التي يمكن ان نستشفها من هذا المشهد الذي تلتقي به السماء بالأرض لقاء الربوبية بالعبودية، لقاء الرب الرحيم بالعبد المظلوم، ولو كان امرأة!!، إذ تصعد الشكوى بأسرع ما نعرف عن سرعة البرق، وتاتي الاستجابة بأسرع من ذلك!

إن بين الرجل والمرأة لأموراً وحالات لا يستساغ ذكرها حتى في حضرة نبي من أنبياء الله عظيم، وانما ترفع الى من خَلَقَ وعَلِمَ وسَّوى ! وان حياء المرأة يمنعها ان تبوح بمثل تلك الحالات لاحد!

وكم نحن غافلون حين يغتاب بعضنا بعضا، وحين يتجسس بعضنا على بعض، وحين يأكل بعضنا لحم بعض، ولا نستحضر سطوة الذي يسمع ويرى من سماواته العلى، ونبقى سادرين لا نلوي على شيء غفلة وشقاوة وجهالة!

وكم هي كثيرة الأحكام الجاهلية المعاصرة التي تحكم بها الأنظمةوالدول والتي تظلم الإنسان وفطرته، وتتعامل معه ككائن حيواني، وليس كخليفة اجل عند الله من الملائكة الذين خلقوا من نور!!

ربّنا إنكّ تسمع وترى، فاستمع إلى شكوانا وامنحنا القوة التي نرفض بها مايراد بنا من ظلم، وامنحنا الثقة التي نقاوم بها من يريد ان يحارب ديننا وفطرتنا ويستبدلها أحكاماً جاهلية حديثة !

رسائل من القرآن الكريم: 33

(وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ) البقرة: 249

<u>الصبر زائداً التوكل:</u>

كان عدد جنود طالوت قليلا جدا، وكانت اسلحته وإمكاناته محدودة قياسا إلى قوة جالوت عددا وعدة وامكانات، ولكن الإرادة والتصميم كانا أقوى، (ولما برزوا): ولما اقدموا ظاهرين غير وجلين نحو عدوهم، متسلحين بعزيمتهم معتمدين على ربهم. اي انهم بدأوا بأنفسهم اول الامر (برزوا)، ولم يكونوا معتمدين على الدعاء وحده، او قل: تزامن البروز مع الدعاء او اقترنا معا، وكان احدهما ردءاً للآخر، فالعمل وحده غير كاف، كما ان الاعتماد على الدعاء غير المشفوع بعمل غير كاف كذلك.

وبما ان العدو قوي وإمكاناته كبيرة وجيشه جرار امام جماعة قليلة، استدعى الأمر تصعيد طرفي المعادلة: إظهار القوة والاعتماد على الذات، وطلب الصبر غير العادي، والمصبوب صبا، بما يعين على المواجهة الصعبة، وهو طلب من قدير قاهر جبار، لا يعجزه شيء في الارض ولا في السماء.

فجاءهم المدد من فورهم، بصبر كسيل البحر، وتثبيت للأقدام كما تثبت الجبال الراسخة، وكانت النتيجة ان هزمت جماعة طالوت جيش جالوت المكون من (العماليق) وقتل داوودُ جالوتَ بإذن الله.

وهكذا يكون العمل الصادق والدعاء الصادق، كيف يأتيان بثمرهما يانَعين بإذن الله. وما اختل احد طرفي المعادلة إلا وجاءت النتيجة غير مرضية.

نصَرك اللهم لأنصارك على جبروت أمريكا وأساطيلها.

رسائل من القرآن الكريم: 34

(سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)النور : 1

سورة النور:

الحديث هنا عن سورة (النور). ترى لماذا كل هذا الاهتمام بهذه السورة وتسميتها بالسورة وذكر إنزالها مرتين وذكر فرضها بما لم تعهده سورة اخرى في القرآن الكريم ؟

اولاً :ان هذه السورة ذكرت فيها الذات الإلهية الذي تفيض بنورها على العالم كله (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ..).

ثانياً : انها نزلت في حادثة هامة هزت المجتمع الإسلامي الوليد وبما لها من علاقة بالبيت النبوي نفسه، وهي حادثة الإفك.

ثالثاً : لإظهار أهمية الأحكام الاجتماعية والأخلاقية التي وردت فيها على الخصوص.

ان الموضوع الذي استهلت به السورة (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ..) ثم ألحقه بموضوع قذف المحصنات (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ ....)موضوع خطير جدا يتعلق بالتماسك الداخلي للمجتمع، وبما له من اثر ونتائج عظيمة في تطهير المجتمع وصيانة الأسروالأعراض، خاصة ونحن نقبل على صياغة مجتمع إسلامي جديد يُعنى بالعلاقات الاجتماعية،

ويقيمها على أساس النقاء والنظافة والطهر وحسن الظن وتقوى الله في القول والفعل، واحترام القيم التي جاء بها الدين الحنيف.

إنّ الإنسان هو الانسان حتى حين يكون في مجتمع إسلامي، فقد تبدر منه خطيئة او ذنب ازاء الآخرين، ولكن الخطيئات ليست على مستوى واحد من الخطورة خاصة عندما تتعلق بأعراض الآخرين، ولهذا جاء هذا التخصيص والتأكيد والفرض، اذ الفرض بمعنى قطع الحديد، فكما تقطع الحديد بقوة، لابد لك ان تتعامل بقوة مع النفوس التي تسيء إلى البنيان المتماسك الذي بنيت اساسه ألا وهو نظام (التقوى).

ويسند هذا المفهوم قراءة (فرّضناها) بتشديد الراء.

إنّ اقتران موضوعات هذه السورة وأحكامها، بالنور الالهي والذات الإلهية، توحي بمدى إرادة الله (سبحانه) بان ينسجم سلوك الانسان والمجتمع بالهدْي الالهي الذي هو نور من نور (قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ)[1]، وان مجتمعاً يقيم علاقته بقبس النور الالهي، ويسير على ضوء مصباح من النور الالهي، لهو مجتمع هدى واستقامة ومجتمع يفيض بنوره على اعضائه وعلى المجتمعات التي يريد ان يبلّغها بنوره.

---

1. المائدة : 15

رسائل من القرآن الكريم: 35

(يُرِيدُونَ لِيُطْفُِواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ) الصف: 8

<u>هيهات!</u>

ذلك هو شأن الذين كفروا من اهل الكتاب من النصارى واليهود، الذين لم يختلفوا عن المشركين في محاربتهم للإسلام ورسالته ونبوته وكتابه الكريم.

فقد كانوا يخططون ويعدون الوسائل ليزيلوا شريعة الإسلام من الوجود، ولكن الله كسر شوكتهم، ورد كيدهم الى نحورهم، وابطل مكائدهم عبر التاريخ، إلا ما كان من شأن العصر الحديث بعد ان أعانهم اقوام من المسلمين على المسلمين انفسهم، مثلما استعان بعض ملوك الطوائف من العرب في الأندلس بالنصارى على اخوانهم هناك فضاعت الأندلس كلها.

لقد شبه القرآن الكريم محاولاتهم وخططهم ووسائلهم تلك، بمن يريد ان ينفخ على كوكب عظيم كالشمس التي تشع بنورها على افاق الكون كله ليخمد إشعاعها، ولكن نفخته تعود خائبة حسيرة متلاشية [1].

وليس مثالا لحقد اليهود والنصارى على المسلمين اصدق من تعاونهم على القتل الواسع للفلسطينيين في غزة بمن فيهم الأطفال والنساء، وتدمير الأخضر واليابس من تلك الارض المجاهدة، على مسمع ومرأى من العالم كله، بله

[1]. انظر، تفسير الميزان ، ج20،ص125.

المؤسسات العالمية التي انشئت للحفاظ على حقوق الإنسان، فاذا بها توظف لمساعدة الظلم والعدوان.

هيهات! ان يُطفئ الظلامُ النورَ... ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نّور﴾[1].

[1]. سورة النور : 40

رسائل من القرآن الكريم: 36

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ) الحجرات :1

<u>التأدب بين يدي الله ورسوله :</u>

(لا تُقِّدموا) : اي لا تتقدموا.

انك حين تتقدم على شخص في مشي او مقام، فهذا يعني انه ليس بذي منزلة او مقام عندك.

وانطلاقا من هذا المعنى نهى الله المؤمنين ان يسبقوه ورسوله في امر او نهي او حكم او تشريع، ولا يتجاوزه في ما يأمر وما ينهى، ولا يجعلوا لأنفسهم إرادة او رأيا مع خالقهم، تقوى منهم وخشية، وحياء منهم وأدبا.

والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، اذ تستطيع ان تجد هذا المعنى او ما يقرب منه في كثير من الايات من مثل قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ)[1].وقوله :(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا) [2].

---

1. الأحزاب : 36

2. النساء : 65.

واذا كان الإسلام هو التسليم لله في كل تشريعاته وأوامره.، ومنهج المسلم يتمثل في هذه الاية (قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) [1]، فنحن –المسلمين– ليس لنا من الامر شيء، لا في تقدم ولا اقتراح على الله ولا نتقدمه بأمر او نهي أوحكم. ذلك هو التسليم الكامل لله والسير على منهجه كاملا، ونبذ كل منهج سواه، مهما تبدلت الأزمان، ومهما مرّ على الإنسان من أنظمة وفلسفات وشبه اديان.

وفي هذا السياق، ومثلما نتأدب مع الله (سبحانه)، كذلك نتأدب مع رسوله، فلا نرفع أصواتنا في حضرته، فضلا عن ان نسبقه بحكم او راي يكون في مواجهة رأيه او حكمه.

[1].الانعام: 126

رسائل من القرآن الكريم: 37

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ)البقرة : 208

<u>الإسلام لا يُجزأ:</u>

ادخلوا في الإسلام في شرائعه كلها، وفي اوامره ونواهيه وتوجيهاته كلها، فليس من صفات المسلم ان يبعّض الاسلام، فيأخذ بعضه ويترك بعضه وفقا لمزاجه او مصالحه، كما كان يفعل بنو اسرائيل في الأخذ ببعض الكتاب وترك بعض.

ان الاسلام يؤخذ كله، وليس لاحد من الناس ان يعطل منه شيئا او يضيف عليه شيئا، انه من الله، والله يأمر بتوحيده في ذاته وأحكامه وتشريعه.

ان هذا الالتزام، والأخذ بهذا التوجيه يليق بمن نودوا بالإيمان ووصفوا به، وهم اولى بتمثله في حياتهم النظرية والعملية، وفي حركتهم اليومية في البيت والشارع والعمل وممارسة الحكم.

ثم ان هذا الإسلام الذي دُعوا إلى الأخذ به كافة، سيعود عليهم بالسلام والأمن، فلا يشعرون بضيق في العيش ولا نكد، ولا يتظالمون بينهم، ولا يظلمون من عداهم من الناس، انهم كما يشيعون النور الذي جاء به، يشيعون الأمن والسلام بينهم وبين غيرهم.

ولكن هذا لا يعني ان يستسلموا لغيرهم ويذلوا، وقد اعزهم الله بالإسلام، ورفع شأنهم به، (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[1]، ويمكن الإشارة هنا الى دعوات تمييع الدين باسم السلام والإبراهيمية وتوحيد الأديان، فلا يبقى مع هذا تميّز للإسلام ولا للمسلمين، ولا قيمومة ولا شهادة، ولا خصوصية ولا رسالة، وسيختلط الإسلام بأمشاج النصرانية واليهودية وما اعتراهما من اتجاهات شرك وشرائع مادية. ولم يعلم المسلمون اليوم ما وراء هذه الدعوة من أهداف ومقاصد إلا من رحم. (ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ)[2] اي اعضاء وأجزاء يؤمنون ببعضها، ويكفرون ببعضها الاخر.

---

1. ال عمران : 139

2. الحجر :91

رسائل من القرآن الكريم: 38

(وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ) التوبة 105

<u>الايمان بثماره:</u>

سياق الحديث عن الذين عادوا إلى الله تائبين، وهؤلاء:

يرى الله عملهم : اي يثيبهم ويجازيهم.

و يرى الرسول عملهم : اي يبارك لهم ويدعو لهم.

ومعنى ان يرى المؤمنون عملهم:

اي يرون ثمار عملهم، وانعكاسه على أحوالهم وأحوال المؤمنين وأحوال المجتمع. فالإسلام لا ينظر الى النية وحدها مالم تتحول إلى عمل في سجل الإنسان، والمجتمع لا يستفيد من النيات ما لم تتحول الى أعمال يراها المؤمنون .

ان الله يثيب والرسول يبارك والمؤمنون يجنون ثمار أعمال العاملين بما يصلح حالهم وحال المجتمع، وكل عمل لله ورسوله فهو عمل للمجتمع، وكلمة في (سبيل الله) كما يقول الشهيد آلصدر تعني في سبيل الناس وفي سبيل المؤمنين.

فلابد للعمل من ثمار، ولا خير في عمل لا ثمار له، ولا إصلاح.

وهنـاك ايـة اخـرى شـبيهة بهـذه الايـة مـن حيـث الأسـلوب، ولكـنّ واحـدا مـن المعطوفات قد حذف منها وهو: (المؤمنون) وذلك في قوله تعالى : (قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلون)[1].

ذلـك لان الحـديث هنـا عـن المنـافقين الـذين لا يثيـبهم الله، ولا يبـارك الرسـول عملهم، وبالتالي لا ثمرة لإعمالهم في حياة المؤمنين ولا حياة المجتمع، بل هي ضارة وهادمة. ولذلك لم يذكر (المؤمنون) هنا لانهم ليسوا طرفا منتفعا من تلك الأعمال. والله اعلم

[1]. التوبة : 94

رسائل من القرآن الكريم: 39

(وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ) البقرة :190

الاعتداء شرع الجاهلية:

لقد جاء الإسلام سلما وأمانا، للعالمين ومنقذا للبشرية من تلك الجاهلية التي كانت حياتها تقوم على الظلم والاعتداء.

وهذا المناخ الاجتماعي والسياسي الذي وفره الإسلام للمسلمين، ياتي بعض المسلمين اليوم وبعد الف وخمسمائة عام ليعيدونا إلى تلك الجاهلية التي لم يسلم منها الانسان على نفسه ولا على عرضه وماله وارضه.

في هذا الزمن وبعد ان استضأنا بنور الإسلام يأتي من يؤسس لثقافة الاعتداء والظلم، فيقتلون المنتسب إلى العشيرة بجرم غيره، ويغيرون على (مضيف) العشيرة الآمنة بدون وجه حق، وتلك لعَمْري شريعة الغاب!!

كما يهاجمون مقر حزب او كتلة سياسية بحجة ان شخصا يقال انه كان منتمياً إلى ذلك الحزب، ولم يكن كذلك، وذلك من دون تروٍّ او يقين، انما هو تحقيق لغريزة الاعتداء. ان هذه الظاهرة العدوانية أخذت تتسع في الشارع العراقي خاصة، حتى ساد قولهم (ليس الزلمة اللي يأخذ حقه، بل الزلمة اللي يأخذ حق غيره!!)

لقد جاءنا من الله نور وكتاب مبين، يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ونحن نريد ان نرتد على أعقابنا يقطع بعضنا رقاب بعض، كما كان يفعل اهل الجاهلية، ونخّربُ ما بنيناه بأيدينا كما يفعل اليهود (يخربون بيوتهم بايديهم)[1].

إنّ حُمَّى الاعتداء اليوم لدى بعض الناس والاتجاهات يجب ان نواجهها بثقافة السلم والأمن لنبني مجتمعاتنا ونجعل منها قوة امام الاعداء والمستكبرين العالميين، ولا نستخدم عضلاتنا ضد اخواننا بالشبهة اشباعاً لنزعة الاعتداء التي ورثناها من المجتمع الجاهلي المقيت، والذي غادرناه بفضل الإسلام ونبيه المصطفى محمد بن عبد الله (صلى الله عليه واله) وإذا كان الأمر يتعلق بالتدين الفردي الذي يحصن صاحبه من الاعتداء على الناس، فانه يتعلق كذلك بنظام الدولة وضوابطها ومدى التزام الناس بهذا النظام وتلك الضوابط.

---

1. الحشر : 2.

رسائل من القرآن الكريم: 40

(هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ.

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ.

هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) الحشر : 22-24

<u>الله جل جلاله في القرآن الكريم:</u>

(الله) الكلمة المحورية في القرآن الكريم كله. وفي علم الدلالة الحديث ان تحليل النص يعتمدعلى الإمساك بالمفاتيح المسيطرة على النص، بمعنى ان هناك كلمات او عبارات متكررة في النص ينطلق منها المحلل اللغوي او الأدبي للنص، ثم يبحث عن اهم ركيزة تسيطر على هذه المفاتيح، او قل مفتاح المفاتيح كلها. ونحن إذا وقفنا عند القرآن الكريم كله وجدنا ان الكلمة المحورية والركيزة الأساسية في القرآن الكريم هي (الله) جل جلاله.

واذا كانت هذه هي المحورية القرآنية، فان المحورية الأساسية في العلوم البشرية هي (الإنسان)، كما هو واضح في العلوم الإنسانية والتطبيقية معا.

انها محورية الذات البشرية قبالة محوريّة الذات الإلهية.

ان الهدف القرآني هو إيصال الإنسان الى الشفرة الخفية داخله، لكي يفكّها بنفسه، انها الإحساس والربط بين وجوده وبين القيمومة الالهية على وجوده، وعلى وجود الكون بأجمعه. ولكي نعمق هذه القيمومة في وجودنا، لايكفي ان نؤمن بالله فقط، وانما نسْتَشعره ونحسه في أعماقنا، فثمة فرق بين الايمان وبين الإحساس والشعور: (وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ)[1]. والإبصار هو الشعور بين (انت) و (هو). اننا لا نريد ان نعرّف الناس برب لا يعرفونه، بل نريد ان يسكن هذا الرب في اعماق الوجود الإنساني احساساً وشعورا وتمثُّلا في كل حركة نتحركها في الحياة.

ومن اجل ذلك كله، من اجل ان نرتبط ارتباطاً وجوديا بالقيمومة الالهية، نجد الكلمة المحورية في القرآن الكريم تتجلى بأكثر من مظهر،كأن يثني الله سبحانه على نفسه :(إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ)[2]،او يربط مظاهر الوجود به سبحانه :(وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ)[3]، او يركز على الرهبة من عظمته : (وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ) [4].

---

1. الذاريات : 21
2. طه : 14
3. الانعام : 59
4. الرعد : 13

إلـى غيـر ذلـك مـن الظـواهر التـي تثبـت محوريـة الله المنبثـة فـي مسـاحات الوجـود كلها.

رسائل من القرآن الكريم: 41

(وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ) التوبة:36

القتال كافة :

هل يشك احد في ان اعداءنا من اليهود والنصارى متمثلين بدولهم : إسرائيل وأمريكا والدول الاوربية، يحاربوننا كافة وبكل ما يملكون من قوى مادية وإعلامية، فهل قاتلناهم كافة بدولنا الإسلامية من طنجا الى جاكرتا،او على الاقل ما يسمى بالدول العربية هل قاتلوا كافة ؟

ان الظلم الذي وقع على اخواننا الفلسطينيين لم يحدث مثله في عصور التاريخ ، هذا الظلم الذي شمل الرجال والنساء والأطفال، وشمل الحجر والمدر، انه إبادة شاملة للإنسان وما حوله...

ومع هذا لا تجد موقفا من الدول الإسلامية والعربية بمستوى هذا التحدي والإبادة الجماعية إلا من رحم الله من الدول.

والأنكى من ذلك والأمرّ ان بعض الدول العربية تقف مع اسرائيل وأمريكا وتحرض على إبادة المسلمين الفلسطينيين !! فأية انتكاسة في تاريخ المسلمين هذه، وأي مسخ ورِدّة عن الإسلام بعد هذا ؟

لم يقاتلوا مع اخوانهم كافة ولا نصفهم ولا ربعهم، بل صاروا عونا للاعداء !! أعتقد ان التقييم الان يبدأ من الصفر فلم يعد المسلمون مسلمين، ولم يعد للأخوة الإسلامية معنى، ولم يعد الألم الذي يشعر به عضو من الجسد تشعر به الأعضاء الأخرى!!

اعتقد جازماً ان الله سُيجري سنته (سنة الاستبدال) فينا كما اجراها على الخلق من قبلنا، وياتي بقوم اخرين ينصرون دينه، وينصرون المسلمين من عباده. (وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم)[1].

ونظرا لاهمية وحدة المسلمين في موقفهم من المشركين في الأحوال كافة، فقد أُمروا ان يقاتلوا المشركين حتى في الأشهر الحرم المقدسة في الاسلام فيما إذا استحل المشركون حرمة هذه الأشهر، لان الظلم والاعتداء في هذه الأشهر اعظم من سواها.

وختمت الاية بقوله تعالى: (واعلموا ان الله مع المتقين) اشارة إلى انكم ايها المسلمون إذا راعيتم احوال السلم والحرب في حياتكم، وكنتم مجتمعين متماسكين في حالة الحرب، فهي علامة من علامات التقوى، ومقدمة لنصر الله وتوفيقه وتأييده لكم.

---

[1].سورة محمد : 38

رسائل من القرآن الكريم: 42

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ) الجمعة : 9

صلاة الجمعة:

صلاة الجمعة شعيرة روحية وسياسية واجتماعية عظيمة، اذ يجتمع المسلمون كلهم في بيت من بيوت الله، فيشعرون بقوتهم من خلال جمعهم الكبير، ويلتقي بعضهم ببعض، ويستمعون إلى اصدق الحديث : كلام الله وكلام رسوله، انها لفرصة عظيمة وجزئية من جزئيات البناء الذاتي للمسلم.

وواقع الحال اننا لا نُعْنى بها حق عنايتها، ونتساهل في ادائها والاستعداد لها وترقبها، ونفضل عليها بعض الالتزامات الشخصية او الاجتماعية. ولا نتحدث هنا عن وجوبها او عدم وجوبها، فهذا شأن اجتهادي خاص بالمجتهدين، وانما نتحدث عن استحبابها، والتحشيد لها، وخلق المناخ الفقهي والثقافي للحث على العيش في اجوائها، وتكييف الموروث الروائي لصالح الحث عليها.

نقول هذا ونحن نشهد مظاهر الإهمال لهذه الشعيرة في بيئاتنا الشيعية على الخصوص، فنحن اما نصلي الجمعة في بيوتنا، او في احسن الأحوال نصليها جماعة في المسجد او الحسينية علما ان هناك صلوات جماعة تقام في المدينة بحجة انها لمذهب آخر، او لتوجه شيعي آخر داخل البيئة الشيعية نفسها!!

ايها المؤمنون، لقد عرفنا منذ المرحلة الابتدائية ان فعل الأمر يؤخذ به، وينفذ (بغض النظر عن ما تعلمناه فيما بعد عن الأغراض المجازية لهذا الامر) وهاهو رب العالمين يأمرنا بقوله: (فاسعوا)، والسعي غير المشي، ففيه حث واهتمام وهدفية.

ونحن بدل ان نحشد إلى هذا الاحتفال الكبير والتجمع العظيم الذي فيه الخير كله، نسارع الى الجدل في وجوبها، او عدم وجوبها، ونعقّد من شروط إقامتها، وبهذا نكون قد خلقنا الأعذار لمن يريد ان يهملها، وما اكثر من يريد له مبررا او عكازة حتى يتنصل من اي عمل أو مجهود.

اعتقد ان اي إنسان يملك قدرا من الوعي الفقهي او السياسي الايماني لا يملك إلا ان يحشّد ويرغّب ويخلق الاجواء المناسبة لحضور المؤمنين كلهم لصلوات الجمعة، وان يرصد الظواهر الدالة على سوء الفهم او توظيف المرويات المثبطة عن وحدة الأمة وقوة الأمة.

نقول هذا وكلنا سعي لإيجاد الحاكم العادل الذي نصلي وراءه، وكلنا انتظار للفرج الكبير والموعود العظيم الذي يملأ الارض عدلا وقسطا، ونحن عندما نحشّد لصلاة الجمعة او لأداء اي عمل إيماني آخر انما لنمهد له، ونهيئ الاجواء لقبول مقدمه الشريف، ولكل عمل مقدماته التي تسهل امر قدومه وتهيئ الاجواء لقبول دولته دولة العدل واقامة شرع الله في الارض.

رسائل من القرآن الكريم: 43

(وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا) الفرقان :31

<u>آثار هجر القرآن الكريم في حياة المسلمين :</u>

هذه شكوى من الرسول الى الله تعالى بان قومه لم يستمعوا إلى هذا القرآن الكريم ولم يوقروه. ونحن اليوم لو كان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بيننا لشكا إلى الله كذلك، وقال: يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن الكريم مهجورا!!

ذلك بأننا –الا من رحم ربي – لم نستمع إلى هذا القرآن الكريم، ولم نوقره ولم نعظمه، لا في قراءة ولا في فهم، ولا في تطبيق. أمة شاردة بذهنها عن ذكر الله وعن القرآن الكريم بما يلهي ويبعد عن الاجواء الايمانية.

إنّ الأمة التي لا توقر كتابها، ولا تقترب من فهمه انما هي أمة لا تسير في طريق الالوهية والتوحيد، لان هذا القرآن الكريم هو الدليل إلى التوحيد والعبودية الحقة، والعبادة الحقة، وهو أول الثقلين اللذين أوصى بهما خاتم أنبياء الله (عليه الصلاة والسلام)، إذ قال : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي) [1]فبهما تستقيم الحياة، ويعبد الله ولا يضل عباده بعدهما أبدا.

إنّ المسلمين اليوم في شغل شاغل عن امور دينهم كلها بما فيها كتاب الله، فلا قراءة ولا فهم ولا تشريع، فحق لله ان يقول لنا بأننا لسنا على شيء مثلما قال لأهل

[1].رواه الترمذي عن جابر بن عبد الله

الكتاب من قبل : (قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ) [1]!!

نعم ونحن لسنا على شيء حتى نجعل القرآن الكريم قيّما على حياتنا الروحية والسياسية والاجتماعية، بل ستتخطفنا الأمم من حولنا، بل تخطفتنا، واستعمرتنا، واستلحقتنا، وصرنا لإهدافها غرضا، وبدأ المسخ والتغريب يستحوذ على حياتنا حتى صرنا ننظر للحياة بعيونهم، ونتذوق الطعم بأذواقهم، واذا استمرّ الحال على هذا المنوال، فسنصبح أمة ممسوخة، إلا إذا أعاننا على تغيير أحوالنا وفق شريعته، ووفق ما جاء به خاتم رسل الله (صلى الله عليه واله) وعندئذ نكون نحن نحن وهم هم.

[1]. المائدة : 68

رسائل من القرآن الكريم : 44

(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ. رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ)النور : 35-36

نور على نور:

الحديث عن المساجد ومن يصلون بها، والمتأمل بالايات التي قبلها يجد انها مشعة بالانوار (الله نور السموات والأرض) (مثل نوره) (نورعلى نور) (يهدي الله لنوره من يشاء)، وهذا النور يفيض بقوة إشعاعه على مابعده من المساجد ومن يصلي بها، ويعقب هذا النورزيادة في الفضل والأرزاق.

وبعد هذين النورين، النور الالهي، والنور المنعكس منه على المساجد ومن يصلي فيها، ياتي الحديث عن الظلام (أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ)[1] لتكتمل الصورة المتضادة، المعنويات بالحسيات، ولينتهي المشهد بالرسالة المراد إرسالها : (وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ)!

فسبحان من يقرب فهم ذاته، بالمحسوسات من مخلوقاته، وسبحان من يفيض من نوره على من يتبع نوره، وسبحان من يرزق من يستضيء بأنوار آياته!!

[1] سورة النور : 40.

وفـي قولـه تعـالى : (رِجَـالٌ لَّا تُلْهِـيهِمْ تِجَـرَةٌ وَلَا بَيْـعٌ عَـن ذِكْـرِ ٱللَّهِ) إشـارة الـى مصـاديق اولئك الرجـال الـذين أثنـى عليهم رب العـالمين، وهم ذلـك الجيل القرآنـي الفريد وفـي مقدمتهم اهل بيت الرسالة من ال محمد (صـلى الله عليـه والـه)، كمـا أشار بعض المفسرين [1].

واذا كان هذا النور دائم الفيض في ذلك الزمان وفي كل زمان، فان هذا يُغرينا ويُغري كـل مسـلم فـي أنحـاء المعمـورة فـي ان نعمّـر بيـوت الله بالحضـور الـواعي وتعميق العلاقة بالله سبحانه، والعمل على نشر رسالته وتبليغها عبر المساجد التي هي نور وفيها رجال من نور، وتفيض بالنور على العالمين.

[1].ينظر تفسير الميزان، ج15 ،ص 64.

رسائل من القرآن الكريم: 45

(كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا) طه: 33- 34

التسبيح:

عندما ندعو الله –سبحانه –او نطلب منه حاجة، وغالبا ما تكون من الحاجات الدنيوية، نقدم بين يدينا أحيانا نَذْرا ماديا كأن ننفق مبلغا معينا من المال، او نقدم قربانا، او اي شيء مادي آخر، وهي حالة تشبه الصفقة التجارية المشروطة : إن تعطني كذا أعطك كذا. ولكننا حين نتأمل في دعاء موسى (عليه السلام) : (قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي. وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي، وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ، يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي)[1]، نرى ان طبيعة الصفقة تختلف، اذ لم يكن احد طرفيها ماديا، بل هو من جنس الطرف الثاني، فهو يدعو ربه ان يحقق له ما يُعينه على اداء رسالته، كي يجعله مسبّحا له و ذاكراً إياه، بمعنى ان طرفي الصفقة غير ماديين، وأنهما في الله ولله!

مع ملاحظة ان التسبيح هو من اعظم أنواع الذكر، وأنه النظر الى الله في كمال صفاته وتنزيهه عن كل موصوف غيره ؛ ولذلك قدمه على الذكر، مثلما قالت الملائكة لرب العالمين : (وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ) [2]، عندما تساءلوا عن خلق الإنسان، فقدموا اعظم مايقومون به من عبادة وهي التسبيح، ومثلما كان الأمر مع يونس عليه السلام، عندما كان في محنة عظيمة وهو في

---

1. طه :25- 28

2. البقرة : 30

بطن الحوت، اذ توسل بأعظم عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه، وهي التسبيح (وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ)[1].

ومثلما كان الأمر مع سيدنا عيسى (عليه السلام) حين سأله الله سؤالاً لم يكن هو المقصود به، وانما اراد ان ينزه النبوة عن ان تتجاوز حدود عبوديتها، فكان جواب عيسى (تسبيحا) (.... قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ)[2]، وهي الدرجة التي تبلغ بها العبودية درجة عالية من القرب من الالوهية العالية!

فلا ينظرنَّ أحدنا الى هذا النوع من الذكر على انه تزجية للوقت وأنه لقلقة لسان، بل هو نوع من المعرفة العميقة بالله، والذوبان والتفاني في الله، وبسبب من هذا كانت استجابة الله سريعة للمسبحين في اشد حاجاتهم عند الله وأشد توسلهم به. نسأل الله ان يعلمنا كيف نسبحه وكيف نقدسه وكيف نستغفره.

---

1. الانبياء : 87.
2. المائدة : 116.

رسائل من القرآن الكريم: 46

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ) التحريم : 7

<u>بين اعتذارين:</u>

أن تعتذر قويا خير لك من ان تعتذر ضعيفا، وان تعتذر اليوم خير لك من ان تعتذر غدا، وان تعتذر في الدنيا خير لك من ان تعتذر في الآخرة.

ألا ترى إلى هؤلاء الذين يعتذرون بين يدي العذاب الأليم، ولات حين مناص، وحين لات ساعة مندم!!

فماذا أجدى اعتذار فرعون، (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ)[1].

إنَّ العلو والعتو والاستكبار والغفلة والاعتماد على ما بين يدي الإنسان من قوة او سلطان او موقع يجعله يشعر انه غير محتاج إلى الاعتذار والتنازل، وان في ذلك خدشا لكبريائه!! ولكنه حين يحاط به، وحين يصبح اذل من وتد، وحين يفقد كل ما كان يقوى به على الآخرين، ولا يجد ما يدفع عنه عاقبة الكبرياء، يلجأ إلى سلاح الكلمات الذليلة ذات الثمن الرخيص التي لا تعبر عن اي عطاء او إنجاز، بل تختلق الأعذار والمبررات اختلاقا! وهذا أمر سهل اليوم بين من لا يعرفون

---

[1] .يونس : 90

دواخلك، ولكن ماذا تقول هناك حين تكون نفس الإنسان على نفسها بصيرة، وحين لا يجدي اعتذار!

نحن بحاجة إلى شيء من ثقافة الاعتذار التي تشيع روح التواضع، وتقوي اواصر العلاقات بين أفراد المجتمع، ليسود الإخاء والمحبة والسلام، وبحاجة إلى الاعتذار المصحوب بالصدق، وبأداء الحقوق لاهلها، والا مافائدة ان تعتذر عند شخص وانت مازلت تسلب حقه وتريد ان تمرر ظلمك له من خلال اعتذارك الشكلي؟!

رسائل من القرآن الكريم: 47

(لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ) التين : 4

البعد الآخر للإنسان:

عندما نقرأ هذه الاية يتبادر إلى اذهاننا ان المعنى محصور بالجانب المادي الجسدي في هذا الانسان، ونذهب بعيدا إلى نظرية دارون الذي ادعى ان الانسان الحالي هو امتداد لسلسلة حيوانية انتهت الى صورة القرد.

ونبقى في هذه الاجواء دائما مجادلين رافضين لنظرية دارون تلك، من دون ان نقف مليا عند الجانب الاخر من خلْق الانسان – فالله سبحانه– قد خلق هذا الانسان في أجمل صورة وأحسن هيأة مع بيان فصيح وعقل راجح،وعلم واسع، وإرادة وقدرة على تحقيق ما يبتغيه في الحياة.

وفوق ذلك كله فهو كائن اخلاقي يختزن في ذاته معاني القيم والأخلاق على تفاوت في درجة عمق هذه الأخلاق وسعتها حسب المواضعات الاجتماعية المتباينة، وهو بذلك يرتفع به عاليا عن الحيوانية البهيمية وينأى به عن الطبائع الحيوانيّة.

اذاً (في احسن تقويم) تختزن كذلك تلبُّس هذا الانسان بالقيم المعنوية الملتحمة بالتكوين المادي الجسدي. ويمكن الإشارة هنا الى مايريده (المثليون)من إركاس هذا الكائن الأخلاقي الجميل في حُمَّى الحمأ المسنون قبل ان يتلبّس بالروح والقيم المعنوية، بمعنى انهم يريدون ان يجعلوه في أسوأ واقبح تقويم !!، وكذلك يفعلون.

وجاء في تفسير الكاشف للمرحوم محمد جواد مغنية قوله: (اقسم سبحانه انه شمل الانسان بلطفه وعنايته حين اوجده وأنشأه، فخلق جسمه في ابدع الصور والأشكال، واودع في روحه من القوى والغرائز، ما تسمو به على جميع المخلوقات ان شاء واراد، او تهوي به إلى الحضيض ان انحرف مع أهوائه ونزواته. واذا كان الله سبحانه قد اعتنى بالإنسان هذه العناية وأهله إلى الرفعة والكمال، فجدير بالإنسان ان يعتني بنفسه، ولا ينحرف بها عما خلقت له وما خلقت عليه من الكمال والجمال ....)[1].

[1]. ج7، ص584.

رسائل من القرآن الكريم: 48

(لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ) الانبياء : 10

<u>الشرف والرفعة بالقرآن الكريم:</u>

لقد عُرفَ عن العرب أنهم يحبون الفخر والصيت والشرف ويبذلون كل شيء من اجل ان يكون لهم ذكر بين القبائل، ولعلهم بالغوا في ذلك اشد المبالغة، فجاءهم القرآن الكريم يذكرهم، ويقول لهم ان كنتم تريدون العزة والشرف والكرامة، فهذا القرآن الكريم خذوه رسالة وبلغوه يرفع شأنكم بين الأمم، وهي منزلة منحكم الله إياها بهذا الشرط.

ولقد كانوا كذلك يوم رفعوا راية القرآن الكريم، فكانوا سادة الأمم في الارض شرقها وغربها، وكانوا القادة، وكانوا الأمة الوسط، ولكنهم بعد ذلك أخلدوا الى الارض واستناموا ورضوا بالأَدْنَيْن، فجعلهم اليوم اذلة يتخطفهم الناس من حولهم، كما كانوا من قبل في الجاهلية. واذا كانوا قد عقلوا ما جاء من ذكر من ربهم، فانهم اليوم عموا وصموا وذلوا، حتى انتقلوا إلى حالة الرضا بالذل، بل سعوا اليه بأضلافهم كالعبد الذي لا يريد الخروج الى فضاء الحرية، ويحب ان يبقى في ربق العبودية!

وهاهي غزة تستصرخهم اليوم، وبدل ان ينجدوها، إذا هم يُعينون اعداءها عليها، وهذه درجة من المهانة لم يبلغوها من قبل في مراحل حياتهم، وكلما أوغل أعداء

الإسلام في اذلالهم ازدادوا رضا واستجابة كالوتد الذي تضرب على رأسه فيزداد هبوطا في أعماق الارض.

نعم، انهم اليوم لم يعقلوا تذكير القرآن الكريم لهم، (بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ) [1] معرضون عن موعظة ربهم ومعرفته، فدعهم حتى ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، اذلة على المؤمنين، اعزة على الكافرين..ولعل الأفق يرعُف بالاتين منهم وعداً من الله حقا وصدقا : (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ)[2].

---

[1].الانبياء : 42.

[2].النور : 55.

رسائل من القرآن الكريم: 49

(فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ) يونس: 85

فتنة الاستضعاف:

كلما تمكن الظالمون من المستضعفين ازدادوا طغيانا وكفرا وعتوا، وشعروا انهم على حق، وأنهم لو لم يكونوا كذلك لما كانت لهم الغلبة والسيطرة واستضعاف غيرهم، وما دروا أنها فتنة لهم، وان الله يمتحنهم بذلك، وكان الأجدر بهم ان يرعووا او يكفوا عن علوهم واستكبارهم واستضعافهم للآخرين، ولكنهم على العكس من ذلك، ازدادو كفراً واستكباراً، فزادهم الله عذاباً واستقراراً في الجحيم.

ودعاء المؤمنين مع (موسى) هنا أن لا يمكن الله آل فرعون منهم ليستعبدوهم، ويزدادوا تنكيلا بهم واستضعافا.

صحيح ان موسى عليه السلام دعاهم إلى التوكل على الله، وهو سلاح قوي يؤسس لانطلاقة التحرك للتخلص من الاستضعاف، ولكنه دعاهم ايضاً الى امتلاك القوة المادية التي تشكل جزءاً من عناصر النصر، لان من لا يملكها لا يستطيع ان يقاوم قوة الاعداء. ان من لا يملك السلاح والمال قد يتعرض لغلبة الكافرين. فالمعادلة واضحة: توكل واعمل بالوسائل التي تمنع من تمكن الطغاة منك.

ان المؤمنين لا يريدون ان يطلبوا الجنة وهم فقراء مستضعفون، وانما يريدون ان يدخلوها وهم أغنياء بالله وأقوياء به، وبما يملكون من أدوات الدفاع عن انفسهم.

ولقد خاطبهم سبحانه بقوله : (وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ)[1] ومتوكلين ومتملكين إرادة التخلص من الظلم والاستعباد، وساعين لامتلاك وسائل الانتصار من المال والسلاح. وصراعنا اليوم مع الاستكبار لا بد ان ينظر فيه إلى طرفي معادلة النصر: امتلاك العناصر المعنوية والمادية معا.

1. ال عمران: 139.

رسائل من القرآن الكريم: 50

(ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ. فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ) ال عمران : 173-174

فضل الله على الشهداء:

ورد قول الله تعالى: (والله ذو الفضل العظيم) بتعريف (فضل) بالألف واللام في خمس ايات، وورودهُ مرة واحدة بصيغة (والله ذو فضل عظيم) بتنكير (فضل) في سورة ال عمران هذه.

وبالرجوع الى السياق نجد ان هذه الاية جاءت بعد الحديث عن الشهداء (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا .....) (الذين استجابوا لله والرسول.)، فالمناسب ان ياتي هذا التعبير بالنكرة الدالة على كثرة الفضل وعظمته، كما في قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) اي حياة آمنة عظيمة. وفي هذا اشارة إلى فضل الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله والذين يواجهون الناس كلهم بقلوب واثقة من نصر الله لهم. ومعلوم ان اجر الشهداء لا يحصيه إلا الله لما قدموا من الرقاب والأرواح في سبيل إعلاء كلمته ودينه. ألا تلاحظ قوله تعالى (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) فأي نعمة وأي فضل اعظم من نعمة الله وفضله على الشهداء، الاحياء من دون العالمين ؟

أما في الآيات الخمس (والله ذو الفضل العظيم) [1]، فالفضل فيها عظيم دونما شك، ولكن الآيات الخمس لم يرد اي منها في سياق الشهادة ، وانما جاء في باب إحصاء نعم الله وتفضله على المؤمنين بان بعث فيهم رسولا منهم، او منّ عليهم بالجنة والرحمة بعد تقواه.

وربما لم يلتفت استاذنا الكبير الدكتور فاضل السامرائي إلى هذه الإشارة حين بسط القول في عظمة (الفضل) المعرّف بأل (والله ذو الفضل العظيم) الذي لم يرد في سياق الشهادة على (فضل) النكرة (والله ذو فضل عظيم) الذي ورد في سياق الشهادة [2]، والله اعلم.

ومن هنا نعرف مدى دقة اللغة التي اختارها الله سبحانه حاملة لمعاني كتابه الكريم، فلكل معنى محموله اللغوي الذي لا يستطيع غيره في إيصال فكرته الى المتلقي.

ان رسائل القرآن الكريم كثيرة بقدر اياته التي بلغت (6336) ستة الاف وثلاثمائة وستا وثلاثين اية، وفي كل اية رسالة، وربما اشتملت الاية على اكثر من رسالة، وتتعدد الأساليب بتعدد المعاني، وهذا ما استطاعت اللغة العربية ان تحمله بما استودعها الله من اسرار على لسان الناطقين بها.

---

[1] سورة الجمعة : 4.

[2] eloquence,https://tadars.com.

رسائل من القرآن الكريم: 51

(إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ) النساء: 105

(إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ) الزمر: 41

<u>بين اليك وعليك:</u>

في اشارة لغوية للدكتور فاضل السامرائي في الفرق بين (اليك) في سورة النساء و(عليك) في سورة الزمر، ان الاولى تبليغ بالنبوة، والثانية تبليغ بالرسالة. وفرق بين الاثنين ان التبليغ في الرسالة فيه تكليف ومشقة وأعباء كثيرة ليست كما النبوة التي هي اقل تكاليف ومشقات. ولهذا ناسب الحرف (على) الدال على المشقة ماجاء في سورة الزمر، وناسب الحرف (إلى) ما جاء من تخفيف الأعباء في النبوة كما في سورة النساء[1].

والذي نريد ان نضغط عليه هنا مستفيدين من دلالات حروف المعاني في اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، هو ان ورثة الانبياء الذين يعاهدون الله على تبليغ رسالاته ونشرها بين الناس، لا بد ان يعلموا أنهم امام مهمات صعبة وشاقة (انزلنا عليك)، وتزداد هذه المشاق والتضحيات كلما كان الظالمون أقوياء، وكلما كان المحادون لله ورسالاته غاشمين ومتغطرسين وظلمة ، وكلما تعاون الاستكبار العالمي على الاسلام ودعاته وتشريعاته ووظف عملاءه الحكام لمهمة محاربة

[1]. ينظر الفيديو في YouTube

الدين ودعاته ... كما هو حال الدعاة إلى الاسلام في البلاد العربية والإسلامية اليوم، ولعلهم في بلاد الكفر اقل تحملا للاذى من بلدانهم.

هذه سنة إلهية يواجهها المكلفون بالدعوة الى الله من الانبياء وورثتهم في دعواتهم إلى الله وشريعته، وهم يدركون جيدا ان طريق الدعوة إلى الله ليس مفروشا بالورود، بل بالإنكار والتكذيب والتعذيب والسجون، ولكنها الجنة ! ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله غالية [1]!. ومن هنا جاء التعبير القرآني (إنا أنزلنا عليك الكتاب)، وهناك ايات كثيرة في القرآن الكريم تشير إلى صعوبة التبليغ ومشاقه من مثل : (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) [2] واخواتها.

---

[1].حديث شريف، رواه الترمذي.

[2].المزمل : 5

رسائل من القرآن الكريم: 52

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ) النحل : 35

<u>التبريروسيلة للدفاع:</u>

اولا : انهم يؤمنون بالله حسب قولهم (لو شاء الله)

ثانيا : يقولون ان سبب شركنا هو من الله لانه لوشاء ما أشركنا

ثالثا : ليس وحدهم من يقول هذا بل من سبقهم من المشركين كذلك.

الخلاصة ان فكرة تبرير اخطائنا او اعمالنا السيئة هي سلوك نلجأ اليه لتخفيف الضغط النفسي او اللوم الذي يمارسه الضمير الداخلي علينا، او هو نوع من تخفيف الضغط الصادر من المجتمع ازاء تلك الأخطاء او المواقف السيئة.

وهكذا كان موقف المشركين الذين نسبوا سوء عقائدهم إلى الله سبحانه، فهم يقولون لو اراد الله لنا خيرا ما فعلنا !،وهم بهذا يشيرون إلى عقيدة الجبر في أعمالهم، اي ان الله ساقهم إلى هذا الشرك، في حين ان الله انكر عليهم هذا، ونسب سوء عقيدتهم وأعمالهم إلى أنفسهم.

وهكذا يفعل كثير منا اليوم حين نجعل من بعض الأشخاص او الأفكار شماعة نعلق عليها أخطاءنا، ولا نقف المواقف الشجاعة لتصحيح اخطائنا وأفكارنا السيئة، بل ننسبها الى ذلك العالم الكبير او الشخصية التراثية الكبيرة، ونقول انما يتحمل

اؤلئـك أوزار أعمالنـا وأفكارنـا السـيئة. انـه امـر سـهل ان يـدفع المـرء عـن نفسـه المسؤولية ويرميها علـى غيـره، دون ان يواجـه الحقيقـة بشـجاعة ويوجـه اللـوم إلـى نفسه، ويتخذ المسار الجاد لتصحيح اخطائه ومساوئه.

نأمل ان لا يُضرب اؤلئك المشركون اليوم مثلا لنا !!

رسائل من القرآن الكريم: 53

(وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ. وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ) الانعام : 6-7

<u>جمال آخر:</u>

في الآية الأولى ذكر سبحانه المنافع المادية للأنعام، وفي الآية الثانية ذكر الجوانب الجمالية والنفسية لصاحب الانعام الذي يستقبلها وهي عائدة من مراعيهاوقت الرواح مساء، وهي ملأى البطون تتقافز طلاها وتمرح امام أمهاتها!

منظر معجب للنفس ومبهر خاصة للمالك الذي يشعر الملكية النفعية ومالها من آثار في نفسه. وفيه اشارة إلى ان كتاب هذا الدين يُعنى برغائب الإنسان الحسية، كما يعنى باحاسيسه الجمالية ومشاعره العاطفية. فللجمال المعنوي مجالات كثيرة، تتمثل في الأخلاق التي لا يشعر بجمالها النفسي إلا من يعانقها سلوكا واحساسا كما هو الإحساس بجمال الوفاء والصدق وغيرهما.

خذ مثلا قوله تعالى على لسان يعقوب كيف يحول يعقوب ماهو معاناة إلى احساس بالرضا الغامروالأمل المتحقق القريب (وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ)[1]، فالجمال المعنوي غير الجمال الحسي الذي وصفه القرآن الكريم بالزينة (زُيِّنَ

[1] يوسف : 18.

لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ....) [1]، او الحسن الظاهري كما في قوله (.. وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ) [2]، بل هو شعور يملأ الكيان الإنساني كله وليس حاسة واحدة منه

والمطلوب ان لا نقف عند المظاهر الحسية للجمال فقط بل نتعداها إلى ما هو أوسع مديات وآفاقا في هذه الروح التي صنعها الله سبحانه في الإنسان وأحسن صنعها. ولنتميزْ نحن المسلمين حملة رسالة الإسلام عن التوجّهات البهيمية الحسية التي يتجه نحوها العالم المادي اليوم، بعيدا عن عالم الروح وأشواقها.

---

[1].ال عمران :14

[2].الأحزاب – 52

رسائل من القرآن الكريم: 54

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا) الكهف:30

إجادة العمل:

معظمنا حين يقرأ هذه الاية يتبادر إلى ذهنه قوله تعالى: (إن الله لا يضيع اجر المحسنين) فيعيش جو الفضل والاحسان والصدقات ويبتعد عن معنى (أَحْسنَ) بمعنى أجاد العمل، وجوّد الصنعة المادية والمعنوية، وأتمها على احسن وجه.

ان جو (عملوا الصالحات) هو الذي يتعمق في نفوسنا، وهو جو صحيح ومناسب وعظيم، ولا يتضادّ مع (من احسن عملا)، ولكننا هنا نريد ان نلفت إلى جنبة الإجادة في العمل والمهنة والصنعة سواء كانت علمية او ادارية او اجتماعية، وهو ما نفتقده في كثير من أعمالنا، وكثيرا ما نُعيَّر بان الكفار اكثر حرصا منا على إجادة العمل والإخلاص فيه، وهذه حقيقة ظاهرة، وان وُجد منا من يجيد عمله ويخلص فيه.

هذه الالتفاتة المهنية لا تعني اننا نريد ان نكون مثل الكفار في إجادة العمل وإحسانه دون النية لوجه الله تعالى، ولكن نريد ان نشير إلى اننا يجب ان ننافسهم ونبزّهم في هذه الاجادة، ومعلوم انهم لا ينافسوننا في نياتنا الحسنة.

ويقينا أن كل اعمالنا منظور اليها يوم القيامة وأن أجرها لا يضيع عند الله، وان الاية تثبت هذا المعنى، و لا باس ان نلتفت إلى ما قاله الشيخ الشعراوي من ان

الله لا يضيع كذلك اجر هؤلاء الكفار المحسنين والمبدعين والمنتجين، ولكن اجرهم هذا ينالونه في الدنيا فقط [1]، ولو أنا احسنا اعمالنا وجوّدناها مثلهم لأثابنا الله في الدنيا والآخرة. وبما ان الاجادة في اعمالنا في واقع الحال مفقودة، فيبدو اننا غير محرزين للاجر لا في الدنيا ولا في الآخرة، فتأمل!!

[1] Htt:m.YouTube.com.

رسائل من القرآن الكريم: 55

وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا. إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) نوح 26-27

<u>الأبناء على منهج الآباء:</u>

ربما يسأل سائل : ومن اين علم نوح ان اولادهم سيكونون مثلهم في الكفر والعناد ؟ وكيف نحكم على سلوك الطفل قبل ان يولد ؟

وسائل هذا السؤال كأنه لم يعلم ان نوح قد عاش مع قومه الف عام إلا خمسين عاما، فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارا، وما ازدادوا إلا بعداً و رفضا لما جاء به إلى الدرجة التي كانوا يستغشون ثيابهم ويضعون أصابعهم في آذانهم خشية ان يسمعوا نداءه، فَعَمُوا وصَمُّوا ثم عموا وصموا !!

وكان يراهم رأي العين كيف يوصون اولادهم (ديروا بالكم من هذا ان يضلكم عن دين آبائكم)!! والطفل تؤثر في سلوكه السنوات الاولى من عمره كما يقول علم نفس الطفولة، وهو ينشأ على تعاليم أهله وبيئته، خاصة إذا كان الأهل حريصين جدا على ان ينشئوه على دينهم وعاداتهم. يقول مالك بن نبي : ان الناس في فرنسا إبّان الحرب العالمية الثانية أوقفوا اولادهم عن الدراسة إلا اليهود كانوا حريصين على تدريس اولادهم في معابدهم او بيوتهم، ولهذا لم ترَ يهوديا دخل في الإسلام إلا ما ندر، لشدة حرصهم على ان لا يبتعد اولادهم عن تراثهم وتاريخهم وعاداتهم!

واليوم نرى أولاد الشيوعيين والبعثيين على سر آبائهم الذين يزخّونهم بافكارهم وأخلاقهم حتى لَينشأًوا وهم يرددون ماكان يقول الآباء، ويسلكون سلوكهم، فلا تعجب –والحال هذه– من توقع نوح ان يلد الكفار أولادا كفارا باعتبار ما سيكون ، كما يقول علماء البلاغة في المجاز المرسل.

ولسنا في معرض الحديث الطويل عن اثر التربية والبيئة في تنشئة الطفولة، وانما هي اشارة إلى انّ الطفولة صفحة بيضاء يكتب فيها الآباء والمجتمع ما يريدون ان تكون عليه في المستقبل، ان شرا، كما هو حال مع ابناء قوم نوح، او خيرا كما نريد من آبائنا وأسرنا ان تحسن الكتابة على هذه الصفحات الناصعة البياض !

ولعل الكلمة المشهورة (الولد على سر أبيه) تلخص لنا مانريد..

رسائل من القرآن الكريم: 56

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ) البقرة : 282

التقوى اولا:

للعلماء في هذا الجزء من الاية تفاصيل تتعلق بالمعنى والأسلوب ولكنني اقف عند ملحظ يرتبط بحياتنا الإدارية والسياسية، وهواننا كثيرا ما نقف عند هذه الثنائية : (س)من الناس نريد تعيينه في موقع إداري فنتساءل : هل نشترط عليه العلم باختصاصه ام نتحدث عن تقواه ونزاهته!؟

نقول : يقينا لا بد من مستوى علمي مناسب يتمتع به هذا الشخص بما يناسب الوظيفة التي يتقدم اليها، ولكن ماذا يجدي هذا المستوى المناسب من العلم والخبرة إذا كان صاحبنا لا تقوى عنده ولا نزاهة ولا يؤتمن على شيء ؟

فنقول : التقوى والنزاهة اولا، ولا مجال للتساهل فيهما. اما المستوى العلمي والخبرة – على أهميتهما – يمكن الترخص والتساهل معهما درجة، بلحاظ اننا نستطيع ان نطور قدرات هذا الموظف بوسائل التدريب والتطوير، ولكن التقوى لا مجال لتطويرها من قبلنا، لانها ذاتية ومرتبطة بالله وتعليمه إيانا إذا خشيناه.

ان الموقف من هذه الثنائية يواجهنا في حياتنا، وترانا ننقسم فريقين : احدنا يناصر الخبرة والمهارة والآخر يناصر التقوى والنزاهة. والقول الصحيح في ما قلنا، مع الإشارة إلى أنه إذا توفر كل من التقوى والعلم في المتقدم للوظيفة، فذلك ما نبغي.

وهذا الكلام مستوحى من تقديم الله للتقوى وتأخيره للعلم المكتسب الذي يعيننا عليه إذا خشيناه وأخلصنا له. فتحري التقوى والنزاهة في الأشخاص يجب أن يكون قبل الحديث عن مستوياتهم العلمية، وكلاهما مهم.

اتقِ الله اولاً، يهدِك ويُعلمْك، ويرزْقك، ويَحمِك، ويُصلحْ بالك، ويُرضِك ويرضَ عنكَ، ويجعلْ لك ذكرا يمشي معك في الناس، ويستقبلك احسن استقبال يوم تلقاه!

اتقهْ واعملْ ما شئت من عمل يناسب علْمك، تربح !

رسائل من القرآن الكريم: 57

(إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا): الإسراء : 9

القرآن الكريم لا يُجزّأ:

(هذا القرآن الكريم) باسم الإشارة (هذا) يؤخذ كله، وتطاع اوامره كلها، ويُبتعد عن زواجره ونواهيه كلها.

(هذا القرآن الكريم) الذي بين يديك لا يُجزّأ فيؤخذ بعضه ويترك بعضه، كما تنتقي ما يعجبك وتترك ما لا يعجبك من الأشياء، انه منهج حياة مستقيم على ادق حالات الاستقامة، يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهدي الى صراط الحميد.

اما الذين يبعّضونه او يتخذونه (عِضِين) اي اجزاء مقبولة وأجزاء مرفوضة، فاؤلئك هم (المقتسمون) الذين يريدون ان يكون القرآن الكريم على (هواهم)، يأخذون منه ما يناسب مزاجاتهم ومصالحهم ![1].

إنّ (هذا القرآن الكريم) لايقسم إلى كتاب عبادات وآخر معاملات فيطاع في العبادات، ويعصى في المعاملات، ويستبدل بالمعاملات الربوية، والنظم السياسية التي تستورد من وراء البحار، ويكون فيها الانسان مشرعا محادّا لتشريعات القرآن الكريم بحجة ان هذا التشريعات جاءت لزمان غير زماننا، وظروف غير ظروفنا !

[1].ينظر قوله تعالى : (كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ.ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ)سورة الحجر 90-91

يقولون اننا تطورنا، وهذا التطور يجبرنا ان نقسم القرآن الكريم إلى صالح لزماننا، وآخر غير صالح لزماننا ! انها القسمة الضيزى بوصف القرآن الكريم [1].

إنّ (هذا القرآن الكريم) كتاب حياة يحيي من يتبع رضوانه (لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ)[2]، لا يُبَّدلُ ولا يُجّزأ على مر الأزمان والعصور.

وان المؤمن يجب ان تكون له عقيدة واضحة وعميقة في هذا القرآن الكريم ومصدر وقيمومته ووظيفته في الحياة الفردية والاجتماعية والسياسية البشرية،وانه لا خلل في أساليبه ولا مضامينه وتوجيهاته (كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)[3].

[1].تنظر الاية 22 من سورة النجم :(تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ)، اي عوجاء، ناقصة.

[2].سو رة يس : 70

[3].هود : 4

رسائل من القرآن الكريم: 58

(إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ) التوبة: 111

<u>بين المال والنفس:</u>

في القرآن الكريم كله بتقديم الأموال على الأنفس (وجاهدوا باموالهم وأنفسهم) إلا في هذه الاية من سورة التوبة ؛ وذلك إيحاء بان حب المال لدى الإنسان قد يبلغ درجة اعلى من حبه نفسه، وتلك جبلة فيه، و شح في التعامل مع المال وأَثَرَة فيه وحرص عليه وحبه حبا جما، بينما قدمت النفس هنا في اية التوبة، ذلك بان الله هو المشتري، والتعامل هنا مع الله، فهو الذي يفضل وهو الذي يختار، ويقينا النفس عنده اجل وأعظم، وما سخر الكون إلا من اجلها واجل اكرامها، وما قيمة المال عنده حتى يقدمه على النفس التي تقاتل في سبيله، وتنصر دينه!

إنّ للجهاد درجة عظيمة عند الله، فهو من افضل الأعمال وهو الذي وصفه امير المؤمنين علي بن أبي طالب بانه باب من أبواب الجنة فتحه الله لعباده، ومن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء[1].

[1].نهج البلاغة، طبعة د صبحي الصالح، ص 69

ذلك هو الشأن من تقديم المال على النفس لدى الإنسان وتاخيره عند الله في سياق بذل النفس في سبيله واعلاء كلمته. قال الشيخ محمد جواد مغنية في هذا السياق (ان اعز شيء على الانسان حياته ونفسه التي بين جنبيه ....وقد امتحن الله سبحانه من يدّعون الايمان امتحنهم بأعز الأشياء لديهم، ليميز الصادق في إيمانه من الكاذب، ولا يحتجّ هذا غدا بصومه وصلاته، وقد بخل واحجم عن البذل والعطاء من نفسه وماله)[1].

ونلاحظ في هذه الرسالة الربانية القرآنية مايلي:

اولا : التأكيد على الجهاد بانه سنام الاسلام

ثانيا : هذا التأكيد يتجلى من خلال الوعد الالهي بالجنة (وعدا عليه حقا).

ثالثا : نقتبس من هذه الرسالة إشارة الى الضعف والذل اللذين نعانيهما بسبب تركنا الجهاد وركوننا إلى حب الحياة الدنيا.

[1].تفسير الكاشف، ج4 ، ص 105

رسائل من القرآن الكريم: 59

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ) الحج:11

<u>الشخصية القلقة:</u>

تجد بعضا من الناس يعبد الله على شك او على (الحافة)، فهو غير ثابت على حال، تراه متذبذبا في مواقفه على ضوء ما ينتفع من هذه المواقف، ولا يهمه من هذه المواقف إلا ما يناسب مصلحته.

وهذه الحالة طبيعة في البشر إلا من رحم الله، فقد تجدها عند المسلمين كما تجدها عند غيرهم.

وفي حياتنا اليومية السياسية والاجتماعية اليوم نواجه من (يعبد الله على حرف) فهو يعيش على الدين ولا يعيش للدين، يتبع مصالحه وينتقل من هذه الجهة الى تلك حسب دسومة المائدة!!

إن العقيدة هي الركيزة الثابتة في حياة المؤمن، تضطرب الدنيا من حوله فيثبت هو على هذه الركيزة وتتجاذبه الأحداث والدوافع فيتشبث هو بالصخرة التي لا تتزعزع؛ وتتهاوى من حوله الأسناد فيستند هو إلى القاعدة التي لا تحول ولا تزول.

هذه قيمة العقيدة في حياة المؤمن. ومن ثم يجب أن يستوي عليها، متمكنا منها، واثقا بها، لا يتلجلج فيها، ولا ينتظر عليها جزاءً، فهي في ذاتها جزاء. ذلك أنها

الحمى الذي يلجأ إليه، والسند الذي يستند عليه. أجل هي في ذاتها جزاء على تفتح القلب للنور، وطلبه للهدى، ومن ثم يهبه الله العقيدة ليأوي إليها، ويطمئن بها.

أما ذلك الصنف من الناس الذي يتحدث عنه السياق فيجعل العقيدة صفقة في سوق التجارة: (فإن أصابه خير اطمأن به) وقال: إن الإيمان خير. فها هو ذا يجلب النفع، ويدر الضرع، وينمي الزرع، ويربح التجارة، ويكفل الرواج (وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة).. خسر الدنيا بالبلاء الذي أصابه فلم يصبر عليه، ولم يتماسك له، ولم يرجع إلى الله فيه. وخسر الآخرة بانقلابه على وجهه، وانكفائه عن عقيدته، وانتكاسه عن الهدى الذي كان ميسرا له)[1].

[1].في ظلال القرآن الكريم ، سيد قطب، مجلد 4 ، ص 2412

رسائل من القرآن الكريم: 60

(مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ) المائدة: 103

تشريعات بشرية:

(البحيرة) الناقة تشق أذنها، وتترك للآلهة إذا ولدت خمسة ابطن اخرها ذكر، و(السائبة) تُسيّب للأصنام في احوال مخصوصة، و(الوصيلة) تترك للطواغيت إذا بكّرت بأنثى، ثم ثنّت بأنثى، و(الحامي) الفحل لا يُركب ولا يُحمل عليه إذا لقح ولد ولده.

ان الله سبحانه خلق ما في الكون كله، وسخره لخدمة الإنسان تكريما له، ودعاه إلى ان يستثمر هذه الطبيعة، ويوظفها بما فيها من جمادات وحيوانات ونباتات لخدمته ليمنحه المزيد من الفرص لاعمار الارض التي اسكنه إياها، ولكي يشكره على هذه النعم التي لا تحصى.

ثم شرع له ما احله منها وما حرم، ونهاه ان يتخذ من نفسه مشرعا من دونه إلا في المجالات التي هي من اختصاصه، والتي تركها له (منطقة فراغ)ليملأها بما يصلح حياته ويؤدي وظائفه التي وجهه اليها.

ولكن الانسان اخذ يتجاوز تلك المساحات التشريعية التي أنيطت به، وصار يتجاوز حدوده تدريجيا، بان يشرع بعض القضايا التي جعلها جزءا من الدين

حسب هواه، ويهديها إلى الالهة الطينية او الحيوانية التي اتخذها معبودات من دون الله.

ومنها هذه التشريعات التي تتعلق بتحريم اكل الانعام اوتركها او إهدائها إلى إلالهة والطواغيت، بما لم ينزل به الله من سلطان، وانما هو الافتراء على الله، او التقليد للآباء من قبلهم. والملاحظ انهم اسقطوا الأعراف الاجتماعية في حياتهم على التعامل مع الحيوان من أنعامهم، فـ(الحامي) من ذكور الإبل الذي يعمر فيكثر نسله ويعيش حتى يرى وُلْدَ ولدِه.

وهذا يتماثل واهتمامهم بكثرة الأولاد التي يستعينون بهم في الحروب والجاه والسلطان.

إنّ الإنسان بما انه عاجز عن ان يخلق شيئا من المخلوقات، فيلجأ في حالات انحرافه وضلاله إلى (الجعل) الذي يحوّل من خلاله مخلوقات الله الى غير ما خُلقت لها، ويجعل لها وظائف غير الوظائف التي وجدت من اجلها، ومن هنا ينشأ تعدي الإنسان على تشريعات خالقه، ومن هنا يتمدد الانسان في الفساد والإفساد في الارض [1].

وفي يوم الناس هذا يتلبس (الجعل) لبوسا متعددة، فيحل الناس ماحرم الله ويحرمون ما احل، ويبتدعون من العادات والمظاهر بما لم يشرع الله او يأمر، والأدهى في الأمر انهم يحيطون هذه البدع بشيء من الدين ويجعلونها مقدسة

[1].ينظر، حديث الشيخ الشعراوي،http://www-al-eman.com

كقداسة الدين، كما قدس الجاهلون تلك الانعام وكرموها وأهدوها إلى المقدس من الهتهم. وهنا تكمن الخطورة، وذلك حين يقحم الدين فيما ليس من الدين، بل هو محادّ للدين ومضاد له.

رسائل من القرآن الكريم: 61

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ) الأنفال: 65

<u>مديات التصعيد الروحي:</u>

تبدأ الرحلة الايمانية لدى المسلم بإزاحة الإصْر والأغلال التي يمثلها الكفر وقيوده على الروح، لتنطلق في توقدها وصعودها بعيدا عن المصدات والعقبات، وليظهر التفاوت بعد ذلك بين المؤمنين، بين من يستمر في توقده وصعوده، وبين من يتوقف قليلا، او يضعف في حلبات الصراع.

ونسبة الواحد إلى عشرة هي الأصل في ميزان القوى بين المؤمنين الذين يفقهون وبين الكافرين الذين لا يفقهون، كما تشير الاية، وحتى في أضعف حالات المسلمين الصابرين، فان النسبة هي 1 إلى 2 (ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)[1].

فلم يكن هناك ناسخ ومنسوخ، كما يقول بعض المفسرين، انما هو وعد من الله للمؤمنين وتصعيد لقواهم الروحية بان يكون الواحد منهم عن عشرة، وهو اخبار

---

1. الأنفال : 66.

عن حالهم حين نزول القرآن الكريم ولما سيكونون عليه في ما بقي من عمر الدنيا. وان وجدت حالة ضعف فلا اقل من أن يكون الواحد باثنين.

ولم تكن الاية في معرض احكام الفرار من الزحف، كما رأى بعض المفسرين، من حيث متى يكون الثبات، ومتى يكون الفرار، وانما يترك الامر للقائد العسكري او السياسي بناء على الواقع ومعطياته. ثم ان الاية تتحدث عن القوى الروحية لدى المؤمن، والتي تحرك القوة الجسدية والمادية، وتسمو على قوانينها ان هي صبرت وتسامت وتعلقت بالمثل الأعلى المنشود.

إنّ الاية الاولى تتحدث عن الأقوياء 1-10، اما الاية الثانية فتتحدث عن الضعفاء بالمفهوم القرآني 1-2.

ان القول الفصل في هذا المجال هو وضوح الهدف والرؤية لدى المؤمن، وان حراكه يتناسب طرديا مع عِظَم هدفه ووضوحه في ذهنه، وكلما كان الهدف عظيما وواضحا كانت التضحيات من اجله عظيمة. ولا اعظم ولا اجل من تلك الجنة التي يورثها الله للعاملين من اجل إعلاء كلمته وسيادة شريعته [1].

ويمكن إجمال القول في المفهوم القرآني ان المؤمن يواصل سيره التكاملي في الصبر والمصابرة والمسابقة والمسارعة والإعداد والترويض، وان يتسامى في مسيرته، ولا يرضى بالادنى، ولا ينسى شعار 1-10 ، وان تتضح الأهداف في

[1].ينظر تفسر الميزان للسيد الطباطبائي، ج 9، ص 55.

ذهنه، وان يمارس التحريض لغيره (يا ايها النبي حرّض المؤمنين على القتال..) بكل أنواعه، وبكل وسائله، حتى يقضي الله امراً كان مفعولا.

رسائل من القرآن الكريم: 62

(وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ) الزخرف: 28

<u>وصّية خاصّة :</u>

اغلبنا يعيش في الدنيا وللدنيا، واذا ما غادرناها نوصي بما جمعناه فيها لاولادنا وزوجاتنا، وليس وراء ذلك شيء! ولكن سيدناابراهيم (عليه السلام) لم يوص بشيء من ذلك، بل وصّى بنيه بعقيدة التوحيد التي اخلص لها، ونذر وجوده لها، وطوّف ما بين العراق وحلب وغزة ومصر والحجاز داعيا اليها، مثبتا أركانها، متبرئا من كل ماعلق بها من شوائب الشرك، موصيا ذريته ومن بعدهم بالتمسك بها، وحملها رسالة للعالمين.

(وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ)[1].

ولم يكن بالإمكان ان يجعلها باقية لولا ان طبعها على القلوب طباعة لم تمح، وحفرها في العقول حفرا لا يمكن ان يردم.

فكذلك إذا أردت ان تكون مع إبراهيم ومع وريثه محمد (صلى الله عليه واله)، عليك ان تجعل عقيدة التوحيد ولوازمها وأخلاقها باقية راسخة في مجتمعك اليوم لتكون باقية راسخة غدا وبعد غد إلى يوم الدين.

---

1. البقرة : 132

ويبقى السؤال: كيف وما هي وسائلك في إعلاء شأن التوحيد الخالص ورسالته الى البشرية جمعاء في أطوارها كلها؟ ان تترك وراءك اثرا في مجال معين في الحياة، وأي مجال اعظم من كلمة (لا اله الله) وملحقاتها من التطبيقات...

امر ليس بالسهل إلا لذوي الإرادات الصلبة والعقائد الراسخة الواضحة في اعماق العقل والضمير.

وليس ثمة وسيلة واحدة لإعلاءهذا الأثر وجعله معلما بارزا في حياة الناس افضل من ان تكون انت بنفسك القدوة والرمز لما تدعو اليه، لكي تتناسب عظمة الداعي مع عظمة المدعو اليه، اقصد الأثر الذي تدعو اليه لتطمئن، وانت تغادر الحياة، ان شاخصك لا تستطيع عوامل التعرية ورياح التاريخ ان تغير من معالمه، بل تصقل تلك الملامح وتجعلها اكثر رسوخا وثباتا وبقاء.

رسائل من القرآن الكريم: 63

(سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا) الفتح: 11

<u>أيهما أَعزَّ:</u>

من يعرف الله حق معرفته، ويرد التوجه الى الله حق التوجه اليه بنية صادقة واحتساب صادق، لم يشغله عنه مال ولا ولد. ألم يكن المال والولد من عند الله ؟

ولكنه يقينا، وكما اخبر الله تعالى، ان الأعم الأغلب من الناس يقدمون المال والولد على الدين واستحقاقاته وضريبة الانتماء اليه. نقول: لو كان المال والأهلون يمنعون الناس من طاعة الله ورسوله، ما أطاع الله احد قط !

ولكن عدم معرفة الله حق معرفته، وعدم التوجه اليه وطاعته، وعدم الطمع في ما يعدمن عطاء هو الذي يورد الناس هذا المورد من تقديم ما لا ينبغي ان يتقدم على الله وشريعته.

ولم يكن الأعراب الذين تخلفوا عن الخروج مع النبي (صلى الله عليه واله) إلى مكة، بحجة الانشغال بالمال والأهلين وحدهم الذين يقولون بالسنتهم ماليس في قلوبهم، وليس وحدهم من يتخلف عن المشهد حين يدعوه الله إلى أمر فيه تضحية دماء وعطاء وموقف، بل أمثال هؤلاء الأعراب في كل زمان ومكان، وبيننا اليوم كذلك.

ان القرآن الكريم يرسم لنا النماذج البشرية التي تمثل أنماطا شتى من السلوكات والمواقف والأفكار والنزعات البشرية، لنتعرف عليها ونصنف انفسنا في اي خانة نحن منها ؟ ، وعند اي مسافة نقترب او نبتعد عنها، او نكونها تماما في بعض الأحيان!!

لقد كان بعض المسلمين يقولون لرسول الله (صلى الله عليه واله) في معركة الأحزاب : (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) [1]، اي مكشوفة يستطيع العدو ان يتسلل اليها، وليس الأمر كذلك، وانما هي حجة وذريعة ، وهذه طريقة نفسية يوحيها اليهم الشيطان للتخلص من ضغط الذات، لانهم يعرفون انهم يكذبون. ويمكن ان يعرض الانسان هذا التساؤل: هل بيوتكم ونساؤكم اعز عليكم من الله ودينه وشريعته ورسوله؟ ولو صدقوا الله لحمى بيوتهم كحمايتهم الله ورسوله. وصدق الله اذ قال: (قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ) [2].

---

[1].الأحزاب : 13

[2].التوبة : 24

رسائل من القرآن الكريم: 64

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ) البينة : 7

خير البرية:

يلاحظ ان كثيرا من المسلمين يؤمنون بالله ويعملون الصالحات فهل يكونون من خير البرية؟. يبدو – والله اعلم – ان خير البرية وراءها امور اكثر من عمل الصالحات من صلاة وصوم وحج وزكاة، لان كثيرا من المسلمين يؤدونها.

لانريد الدخول في حوار عن (خير البرية) من الأشخاص أو والجماعات، وانما نريد الإشارة إلى طبيعة هذا (الإيمان) الذي يجعل صاحبه من خير البرية وطبيعة هذه (الصالحات) التي تجعل صاحبها من خير البرية.

يبدو ان خير البرية هم أفراد متميزون او جماعات متميزة، لا يكتفون بالعبادات المعهودة وان كانت بذاتها عظيمة وجليلة، وانما هم اولئك الذين امنوا ايماناً عميقا، وأدوا هذه العبادات اداء عاليا على غير ما هو معهود من ادائنا نحن لهذه العبادات، بل هم اولئك الذين وصفوا في القرآن الكريم أوصافا فوق الأوصاف الأولية التي يتصف بها المسلم، وادعوك ان ان تتأمل معي فيها، من مثل: (ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ)[1].

[1].آل عمران: 17

ومن مثل: (فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تحتها الانهار)[1].

ولك، بعد هذا، ان تبحث عن المصاديق من الرجال والنساء لتدرجهم تحت عنوان: (خير البرية)، اما ان تساوي في الدرجات بين جميع (الذين امنوا وعملوا الصالحات) فلا يستقيم الفهم، لا سيما ان (خير) هي بمعنى (اخير) بصيغة افعل التفضيل اي افضل البرية، واصدق البرية، وأكثر البرية عطاءً وجهادا وتضحية بالمال والرقاب، وعلى هذا الأساس فهل كل الذين امنوا وعملوا الصالحات (الخفيفة) مثل اولئك الذين عملواالصالحات (الثقيلة) ؟

ولا يكون الفاضل افضل إلا إذا كان فاضلا في فضله، متميزا في عطائه كأقصى مايكون الفضل وأقصى مايكون العطاء. ولـ(خير البرية) مصاديق كثيرة على أشخاص وجماعات من المؤمنين، منها الامام علي (عليه السلام) والصفوة من شيعته[2].

---

1. آل عمران : 195

2. ينظر، تفسير الميزان، للسيد الطباطبائي، بحث روائي، ج20.ص 372.

رسائل من القرآن الكريم: 65

(وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِين) البقرة: 195

تحريف معاني القرآن الكريم :

بعض الناس يقتطع من الاية قوله تعالى: (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة)، ويوظفها في التحريض على عدم المساهمة في الجهاد في سبيل الله، او عدم الدعوة الى اي عمل فيه خطر على الذات مهما كان عظيما، متناسيا ان سياق الاية لا يشير الى شيء من ذلك، ان لم يكن المطلوب عكس ما يقول ! [1].

فالاية وردت في الحث على الانفاق في سبيل الله، وخاصة في مواضع الجهاد ونصرة المجاهدين، وان الذي يتخلف عن ذلك ولا ينفق – مع القدرة على الانفاق – هو الذي يلقي بنفسه الى التهلكة حيث سيواجه عذاب الله وعقوبته، فتامل!

واذا تتبعت مواضع او مشاهد سوء الفهم لهذه الاية تجدها كثيرة، فتجد المرأة تقول لزوجها المتطوع للجهاد (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة)، وتجد احدهم يقول لصاحبه الذي يريد ان ينفق في سبيل الله : يا اخي لا تبذر اموالك، فتصبح فقيرا وتؤدي بنفسك الى التهلكة. وهكذا ...حتى بلغ الامر في سوء الفهم (وربما تعمد سوء الفهم) انك تجد من يقول لك: ان الحسين (عليه السلام) قد القى بنفسه الى التهلكة لانه قاتل من لا قبل له بجيشه، او قاتل ولي الامر وخرج على طاعته،

[1].ينظر، تفسير الكاشف، للشيخ محمد جواد مغنية، ج1، ص302

ويا لله !!(فأنى يؤفكون؟) [1] في تحريف المقاصد القرآنية، وهو لايقل خطرا عن تحريف القرآن الكريم في ألفاظه.

ان الإنسان يلجأ إلى أساليب نفسية يبعد عنه بعض الشبهات او يقوي وجهة نظر لديه بطريقة توهم المتلقي انه على منهج من الصواب، ويعضد رأيه بآي من كتاب الله، على ما لهذا الكتاب من قدسية في نفوس المسلمين، فالجبان الذي يكره القتال ويهرب منه هروبه من الأسد يستشهد بهذه الاية، ويحرفها عن سياقها ومقصدها، فيقول: هاؤم القرآن الكريم يقول: (ولا تلقوا بايديكم إلى التهلكة)، ألا يكفي هذا دليلا على ان الذهاب الى القتال تهلكة؟. وبما ان القرآن الكريم حّمال أوجه، يذهب البخيل إلى آية اخرى من القرآن الكريم ويلوي عنقها الى ما يريد من مقصد يبرر فيه بخله. وهكذا يُوظّف القرآن الكريم – والعياذ بالله– لخدمة الجبناء والبخلاء!

[1].الزخرف : 87

رسائل من القرآن الكريم: 66

(إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) الممتحنة :7

<u>من نوالي ؟</u>

ينهانا الله –سبحانه – عن موالاةالذين قاتلونا في الدين، وأخرجونا من ديارنا، وتحالفوا وتعاونوا مع اعدائنا، لان هذه الموالاة انما هي للمؤمنين (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض)[1]، اما موالاة الاعداء فهو ظلم وتهاون وتخاذل، ظلم للنفس وظلم للاخوة المؤمنين الذين يقعون تحت ظلم الكفار، والحال اننا مدعوون الى نصرة المؤمنين ومحاربة الكفار المعتدين.

قال ابن كثير: (ينهى تعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله، قاتلهم الله، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض، ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم)[2].

وليس ثمة رسالة اوضح من هذه الرسالة الى الحكام العرب والمسلمين اليوم ! ولكن (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)[3].

---

1. التوبة : 71.

2. Katherine, http://: Quran.Kay.edu. Sa.

3. الانعام : 36.

فهـاهم يتولـون اليهـود والنصـارى دولاً وافـراداً وينصـرونهم فـي حـروبهم ضـد الإسلام والمسلمين.

وليس شيء أبلـغَ وصفاً وحكماً من وصف الله لهم : (ومن يتولهم منكم، فأولئك هم الظالمون).

رسائل من القرآن الكريم: 67

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ) يوسف: 22

اقتران الحكم بالحكمة والعلم :

ذلك النبي يوسف آتاه الله (حُكما). ويمكننا ان نستحضر مع هذه المفردة مفردة (الحكمة) لان اشتقاقهما واحد، فنشير إلى ان الحكم لابد ان يقترن بالحكمة، فاذا كان الحكم دونما حكمة، توقعنا منه الشطط والظلم والعدوان والأَثَرة وربما كل شيء! أما إذا اقترن الحكم بالحكمة توقعنا منه الخير كله، واستقامت معه حياة البلاد والعباد، وأمِنَ الناس على دينهم وأموالهم وارتقت حياتهم.

ولنا من واقعنا الكثير من المصاديق. وربما كان قريبا من مقولة السياسي الحكيم، مقولة السياسي المثقف الذي تقربه ثقافته من الحكمة، وتبعده عن انحراف القول والعمل، وتقرّبُ هذا السياسي المتخصص في مجال ادارته للبلاد، ولا يكون سياسيا دونما حكمة ولا ثقافة ولا تخصص.

ويمكننا الرجوع إلى الاية لنقف عند (وعلما) لكي تكتمل عندنا ملامح الشخصية التي تحكم البلاد، فمع الحكمة صار العلم، ليكون الحكم رشيدا، فقد احيط الحكم بالحكمة والعلم، وهي من أركان كل دولة، ومن شروط كل حاكم يقود الأمة، ويرتقي بالأمة، وينافس بالأمة أمم الارض.

وتعلمون ماذا قال يوسف للملك : (قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ)[1]،وفيها إشارة الى ما نناقشه، وهو العلم والتخصص، فهو يعرف كيف يحافظ على ثروة الامة ويحميها وينميها، ويضع الخطط الخمسية او الأكثر او الاقل لضمان عدم وقوع الكوارث والمفاجآت الاقتصادية او الكوارث. ثم ان (حفيظ) تشمل مما تشمل: الامانة، ولا يحمل الامانة إلا من خشي الله، وخافه في مصير الأمة كاملة، وهي تواجه صعوبات الحياة وعوادي الزمن وتربص الاعداء.

ولك ان تتأمل في واقع حكام الأمة الإسلامية والعربية من حيث مفردات الحكمة والعلم والتخصص والأمانة والخشية من الله، لتقرر ماذا ترى... !!

[1].يوسف : 55

رسائل من القرآن الكريم: 68

(بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ) سورة القيامة: 5

من طبائع الإنسان:

جاء في تفسير الطبري :

(يقول تعالى ذكره: ما يجهل ابن آدم أن ربه قادر على أن يجمع عظامه، ولكنه يريد أن يمضي أمامه قُدُما في معاصي الله، لا يثنيه عنها شيء، ولا يتوب منها أبدا، ويسوّف التوبة)[1].

عجيب أمر هذا الإنسان يركب رأسه ولا يفكر في عاقبة، ويمنّي نفسه بالمعاصي، ويمضي قدما قدما حتى يأتيه الموت دونما توبة ويستمر في الفجور، وليس في نيته ان يرجع عن ذنب ارتكبه!!

وحتى لو قال اتوب لا يتوب حتى يأتيه الموت. وعندئذ يقول: (رَبِّ ٱرۡجِعُونِ)[2].

اجل، عجيب أمر هذا الانسان! (قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ)[3]. وهذا دعاء من الله عليه!

واذا كان الأمر كذلك، فما أصعب مهمة المبلغ والداعية الى الله وهو يدعو الناس إلى الإسلام !، خاصة إذا زيد لهذه التركيبة العجيبة في الإنسان مبتكرات

---

1. aya5.htmlhttp://quran.ksu.edu.sa/. 1tafseer/tabary/sura75

2. المؤمنون : 99

3. عبس : 17

الشيطان الذي يجدد حيله ومكره ومغرياته دائما،ولكن هذا الداعية يمارس عمله التغييري على شريحتين الاولى: شريحة (ليفجر أمامه)هذا الذي يمضي سادرا في ظلمات الامال، ولا يلوي على شيء !، فهو يستهدف حتى هذا النوع، وان لم يستجيبوا ولكنه من باب إلقاء الحجة: (وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ)[1].

والثانية شريحة: (إلّا من رحم)، هذه الشريحة المرحومة يزيدها المبلغ وعيا، فتزداد رحمة. فما اكرم الله مع عبده الداعية، يوسع عليه مساحة دعوته، ولا يحصرها في شريحة من الناس، فهو في خير من امره، وان تعب في دعوته، وان واجه الصعاب والمشاق في تعامله مع الأنماط المختلفة من المجتمع.

[1].الأعراف : 164

رسائل من القرآن الكريم: 69

(رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ) إبراهيم : 37

<u>ثقة ثم عطاء.... :</u>

(بواد غير ذي زرع) ولكن الطاعة المطلقة من ابراهيم وزوجته جعلت من هذا الوادي ممرعا يتفجر من صخره الماء!

رجل يترك امرأته بهذا الوادي بلا طعام ولاماء، وامرأة تسعى يمنة ويسرة، ووليدها بين يديها، متلهفة الى قطرة ماء كان حقيقا على الله ان يفجر الصخر ماءً، وان يبعث لهم الثمرات من كل حدب وصوب !

ثم ان سببا اخر جعل هذا التدفق للماء والخيرات، فلكي يكون هذا المكان مآبا للناس وأمنا، وليكون منطلقا للتوحيد وعبادة الجدير بالعبادة من خلال مفردة الصلاة التي تعد اقامتها اقامة للدين كله.

ولنعلم ان ما ظاهره يباب وجفاف قد يبعث الله فيه الحياة، وان ما تراه من نعيم وثراء ورفاه، قد يكون وراءه جفاف وبؤس وشقاء، وذلك منوط بالقرب اوالبعد عن الخالق البارئ الذي يقول للشيء كن فيكون !!

فلا تغترَّ بما في يديك!!

ثم انظر إلى هذه القلوب التي تيمم وجهها شطر ذلك المكان للتعارف وللتعاون من اجل إعلاء كلمة الله الذي أعطى واهدى هذا المكان لابراهيم وولده وذريته التي ختمت بمحمد بن عبد الله (صلى الله عليه واله)، ولكن الذي يحدث اليوم هو : (فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا)[1]، وما أمر الجزيرة العربية وما حولها عنك ببعيد!!

[1] مريم :59.

رسائل من القرآن الكريم: 70

(وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا) الأحزاب: 22

من سنن الله : الابتلاء :

ليست (الاحزاب) واحدة ولا هي مرحلة، بل هي حالة تتكرر في الازمان والامكنة كلها، بالامس كانت مع الرسول والدعوة الاسلامية الناشئة، واليوم تجتمع اوربا بكل اساطيلها كما اجتمعت في الحروب الصليبية، واذا كان ثمة توازن في القوى آنذاك، فانهم اليوم يجتمعون على مدينة صغيرة قد سلبت كل الإمكانات، ويقصفونها باسلحتهم وطيرانهم ويقتلون نساءها واطفالها...وهم يقولون:

(هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله)، وكما واجه المؤمنون من المهاجرين والانصار تلك الجيوش من الاحزاب والقبائل العربية على قلتهم وضعف وسائلهم، يواجه اهل غزة اليوم الغرب كله بسلاح قلوبهم وايمانهم بوعد الله الصادق، وكما ارسل الله ريحه على تلك الاحزاب فهو يرسل لاهل غزة اليوم (ريحا) من صواريخ اليمن ولبنان والعراق، وسيهزم الجمع، ويولون الدبر.

وعلى الرغم من الدماء التي سالت وانين الارواح التي تراكمت تحت الأنقاض فان القلوب المؤمنة شاخصة نحو القوي القهار الذي يجري سنته كما وعد: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ

وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ متى نصر الله)[1]، فلا نصر دونما ابتلاء ومحن وتضحيات، وقد ادرك المؤمنون هذه السنة الإلهية، وحين واجهوا البأساء والضراء أيقنوا انها من مصاديق ذلك الوعد الحق ،فما زادهم إلا ايماناً وتصديقا، وثباتا وإصرارا.

[1].البقرة : 214

رسائل من القرآن الكريم: 71

(وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فيها....) الانعام : 128

<u>شركاء في الاستمتاع، شركاء في العذاب :</u>

(استمتع بعضنا ببعض). في حفلة علنية وليست تنكرية كل جهة تؤدي دورها في ذلك الحفل، فيجيء العمل متجانسا منسجما في جزئياته، كما يفعل الممثلون على خشبة المسرح، فكل ممثل يعهد إليه عمل يؤديه ليتناسق المشهد التمثيلي، ويخرج إخراجا تاما!

الجن يأمرون الانس بما يضلهم ويغويهم بالشهوات، ويلبس عليهم دينهم بعبادة الأصنام والكواكب والأحجار والحيوانات وهم يشعرون بنشوة عالية واستمتاع لذيذ، لما يلمسونه من الأنس من طاعة عمياء، فهم منقادون لهم كامل الانقاذ إلا من رحم الله، وكانت له بصيرة، ووعي وهداية من الله.

واستمتع الأنس بما وفره لهم الجن من شهوات ومحرمات، ودلوهم عليها، وعلموهم بها، فكان لاولئك الفضل عليهم، فلولاهم ما وصلوا الى تلك (النعم) التي لم يكونوا قادرين على الوصول اليها. ويلاحظ ان صيغة (استفعل) (استمتع) تعني منتهى التمتع والشعور باللذة والاستغراق فيها.

وبهذا يتم التخادم بين الجن والإنس، وتتم الاستفادة، وينجز الممثلون ادوارهم على خشبة المسرح، ولكن، ويا للحسرة ! لن يطول العرض، وستطفأ الانوار ويمضي كل الى مثواه الأخير....

إن صور الاغراء كانت تاتي بطريقة خادعة، ومن مدخل فطري للانسان، إذْ يقاد الإنس من خلال ربطهم بُمُثل منخفضة مصطنعة، وربوبية هابطة. ومن هنا يسهل الاستدراج، كما يقول الشهيد الصدر [1].

وبهذا ستكون افعال الإنس مبررة من داخل انفسهم، انهم يمارسون عبادة، ويقبلون على ارباب ! بل انهم لا يبعدون عن الاله المطلق، وانما يتقربون اليه، فهم متدينون في احساسهم الداخلي !! (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ)[2].

وبهذا يمارس الانس الشرك من خلال الولوج إلى فطرة التدين التي حرفها الشيطان عن وجهتها الحقيقية، ووجد في جهل الإنسان وضعفه فرصة في إيقاعه في شباكه! يامعشر الجن والإنس لم يطل استمتاع بعضكم لبعض، ولا ولاية بعضكم لبعض، متاع قليل، ثم مردكم الى النار هي مثواكم فبئس القرار!!

---

[1].ينظر، المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر، 127

[2].الزمر : 38

رسائل من القرآن الكريم: 72

(وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بصير) البقرة: 265

(إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ) البقرة: 184

<u>بين (تعملون) (وتعلمون):</u>

من المعلوم في فقه اللغة ان الكلمتين إذا تشابهتا في الحروف تشابهتا في المعنى على تفاوت في درجة هذا التشابه او الاقتراب، فمثلا الفعلان (سعد) و(صعد) كلاهما يدل على الصعود، الاول صعود نفسي والآخر صعود مادي. فما هو التشابه في المعنى على ضوء التشابه المبنى بينفي الفعلين (يعلمون) (ويعملون). يلاحظ ان في العلم شيئا من العمل وفي العمل شيء من العلم ولا فائدة من علم دون عمل، ولا فائدة من عمل دون علم. فحينما يبتعد العلم عن العمل، ويبتعد العمل عن العلم لا ينفع احدهما الاخر، وربما يتضرر المجتمع من انفصالهما، ويزداد ثراء وفائدة عندما يتم الاقتران بينهما.

فحين يقول الله سبحانه: (وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)[1]، فمن المناسب القول ان عملهم كان بعلم وبصيرة، وليس بدونهما. فقد ورد في الحديث ان الإيمان إقرار باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالأركان [2].

---

[1].الأعراف: 43

[2].منتخب ميزان الحكمة للريشهري، ص 57

انه لا يحقّق العبد حقيقة الايمان حتى يغضب لله، ويرضى لله،فاذا فعل ذلك، فقد استحقّ حقيقة الايمان [1]،فما فائدة علم لا يكون معه غضب لله ورضا لله ؟وما فائدة علم يُكتَنز دون علم ولا موقف خاصة في المواقف التي تتعلق بالأديان والأوطان وما يتعلق بمصلحة الإنسان ؟

فيا أيها العالمون اعملوا، ويا ايهاالعاملون اعلموا!!

[1].نفسه، ص 57

رسائل من القرآن الكريم: 73

(قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ. ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ. وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ...) المؤمنون: 1-11

الحقيقة الكبرى :

يغلب ان يتحدث القرآن الكريم عن الكافرين، ثم يعقبه بالحديث عن المؤمنين في مشاهد يوم القيامة، ويقدم إضلال الكافرين في الحياة الدنيا على هداية المؤمنين [1]، ويشترط الكفر بالطاغوت اولا قبل الايمان بالله [2]، ولكنه هنا في هذه السورة يبدأ بالحديث عن المؤمنين وصفاتهم، ثم يتحدث عن أطوار خلق الإنسان، ثم عن نعم الله على الإنسان، ومنها ارسال الرسل من نوح إلى سيدنا محمد (صلى الله عليه واله) وقصصهم مع أقوامهم وتكذيبهم لهم، ثم ينتهي الى مصيرهم إلى العذاب يوم القيامة بين يدي رب العالمين. كل ذلك في سياق واحد في السورة مع تعدد ألوانه ومشاهده.

نعم ان البداية كانت مع المؤمنين لان السورة كلها مخصصة لبيان حقيقة الايمان وحقيقة الالوهية الكبرى، ثم صفات المؤمنين كمصاديق لهذا الايمان وتجسيد له.

---

1. إبراهيم : 4.

2. البقرة : 256.

إنّ القرآن الكريم يضغط على إبراز هذه الحقيقة، حقيقة الايمان بالألوهية وتنفيذ منهجها في حياة البشر، ولا يدخل في التفاصيل الكثيرة ومناطق الفراغ والفُسُحات التي مُنحت للإنسان في تصريف شؤون حياته استهداءً بمنهج الالوهية وتوجيهاته.

وقد حشدت هذه السورة تنقلاتها وعروضها كلها لتنتهي إلى غرضها الأساس: الايمان بالألوهية وتوحيدها، عبر نوع من التناسب في العرض بين جزئيات الموضوع الأساس، كما هو معلوم من أسلوب القرآن الكريم في التناسب بين ايات السورة الواحدة وموضوعاتها [1].

[1].ينظر، دروس في علوم القرآن الكريم ، السيد راضي الحسيني، ص 159

رسائل من القرآن الكريم: 74

(قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ) الجاثية: 14

<u>الأصل هو الإعراض برفق:</u>

(يغفروا) هنا بمعنى يُعرضوا ويَصْفحوا عن المشركين الذين لم يتدبروا في قدرة الله وبأسه ووقائعه ونقمه التي تاتي جزاء لإعمالهم وكسبهم في الدنيا بلحاظ (ذكر ايام الله) وأخذه الظالمين بالعذاب الدنيوي، او في الاخرة بما اعده لهم من عذاب دائم مقيم.

الإعراض عنهم هنا بأدب ووقار وترفع يليق بالمؤمنين، ثم الانشغال بأمر الدعوة وتثبيتها في قلوب الذين امنوا بها ليستعدوا إلى اداء أعباء الرسالة، وعدم الانشغال وصرف الجهد مع المعاندين الذين لا يرجون رحمة من الله، ولا يخافون وعيده ونذره التي تشاهد فيما حولهم من ديار.

هذه هي القاعدة العامة في التعامل مع المعاندين والمناوئين لم تُنسخ ولم تُغّير، لان هذا الإعراض يوفر الوقت للعاملين كي يبنوا ذواتهم ويعمقوا صلتهم بخالقهم، وحين تكون لهم قوة في العقيدة وقوة في الوعي سيقابله ضعف في الجبهة الأخرى وانكسار.

اما الحديث عن قتال المشركين فسيكون له شأن آخر ووضع آخر، وذلك حين يشتد الاذى ويضيق الأمر على الدعوة وانتشارها وتنقض العهود وتستباح الدماء،

فلكل مجاله، مجال الإعراض والتفرغ للبناء الذاتي وتعميق التصور والوعي، وهذه هي القاعدة، ومجال الاستعداد للمواجهة في سوح القتال.

فليس ثمة الغاء لموقف او نسخ له، كما يسرع بعض المفسرين الى الحديث عن اية السيف او ايات القتال في كل مرة يذكر فيها الإعراض عن المشركين وعدم صرف الهم إلى عنادهم [1].

ان هذا القرآن الكريم يدفع بك إلى بناء الذات اولا، والحرص على إغنائها، واستثمار الوقت بما يساعد على استقامتها (فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ)[2]،اما ان تذهب نفسك عليهم حسرات، و(تحرق أعصابك) أسفا عليهم او إجبارا لهم على الهداية، فذلك خارج عن تكليفك، فما انت عليهم بوكيل وما انت عليهم بحفيظ، ولو شاء الله ما أشركوا، ولو علم فيهم خيرا لهداهم اجمعين.انه يعلم حيث يجعل رسالته، وهو اعلم بالمهتدين الذين تلين قلوبهم لذكر الله ولفطرته التي فطر الناس عليها.

---

[1].انظر اية 104 من سورة الانعام، وتفسير الكاشف، ج٣، ص 239، وفي ظلال القرآن الكريم ، مج 2 ، ص 1169.

[2].هود : 112

رسائل من القرآن الكريم: 75

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ) الانشقاق: 6

كدحٌ فلقاء:

يُستوحى من الفعل (كدح) دلالته على الجهد في أقصى حالاته، مثلما هو الجهاد الذي يعني بذل أقصى غاية الجهد. والإنسان، وهنا الحديث عن مطلق الإنسان، بغض النظر عن أهدافه ومسار حركته وكدحه، هكذا ديدنه يقضي حياته كدحا في كدح، سواء أكان كدحه كدح خيرام كدح سوء، المهم انه يكدح من اجل تحقيق هدفه الذي ربما يظن انه هدف خيّر. وفي النهاية الملتقى: (يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ)[1]،فالكدح واحد والأهداف مختلفة، والكدح واحد في درجته مختلف في نوعه، كما هو مختلف في مصيره ونهاياته : (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ....وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ...)[2]،ولطالما قرن القرآن الكريم الايمان بالعمل الصالح، ولطالما حث على العمل الصالح، وحث على المسابقة والمسارعة اليه، والمصابرة عليه، والمجاهدة فيه أقصى غايات المجاهدة حتى بلوغ الأهداف النهائية التي هي جنة الله وبلوغ رضوانه.

---

1. ال عمران : 30
2. هود : 106-108

(إلى ربك) بما نعرفه من دلالة حرف الجر (الى) على الغاية، فالهدف والمسار والنهاية إلى الله : (ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ)[1].

وخلاصة الرسالة القرآنية :

اولاً : العمل في المفهوم الإسلامي بنيته واهدافه، وتبقى نتائجه مرهونة بتسديد الله.

ثانياً : ان يرافق العمل مجاهدة ومصابرة ومسابقة ومسارعة لكي يبلغ أقصى مدياته.

ثالثاً : ان يمتلئ العامل شعورا بقدرته على النجاح، وان يعمل في ظل اخلاقية الارادة وليس في ظل اخلاقية الهزيمة فرداً وجماعة وأمة، كما يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه).

[1].الانعام : 62

رسائل من القرآن الكريم: 76

(وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا) الفرقان: 73

<u>الابتلاء بالوعي:</u>

يمكن الإشارة إلى نماذج خمسة من الناس في مجتمعنا، وهي:

الاول : المشركون والملحدون.

الثاني : المسلون بالجنسية دونما عبادات.

الثالث : مسلمون مع جهل وأخطاء في عباداتهم.

الرابع : مسلمون : دقة في تطبيق العبادات ولكن مع جهل في المعاملات وغياب في الوعي الاجتماعي والسياسي وعدم معرفة لخطط الأعداء وأساليبهم.

الخامس : حملة الوعي الرسالي والهم الإسلامي الذي يجسدون الإسلام عبادة ونظاما شاملا للحياة، ويعيشون تحديات العصر، ويقدمون التضحيات.

اولئك هم الذين : (إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ)[1]، وهم الذين وصفهم الامام علي بقوله : (هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الِاقْتِصَادُ وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ وَلَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ

---

[1].الأعراف : 201

عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ وَ خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً)[1].

وهم رهبان في الليل فرسان في النهار،(تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ)[2]، يدعون إلى الله على (بصيرة) ووعي كامل لما يحيطهم من تحديات، ويبلغون رسالات ربهم ، لا تاخذهم في الله لومة لائم...

أولئك الذين (أُبتِلوا) بالوعي، ودفعوا ثمن هذا الوعي رقاباً ودماءً وسجوناً وعذابات، وهم يستمرئون ذلك كله، لانه في عين الله وفي ذات الله، ويعتقدون جازمين أنّ من ورائه نعيما مقيما، ووراءه (وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ)[3].

اولئك هم الصنف الخامس الذي اشرنا اليه، وهم مصداق الاية موضوع الرسالة: (وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا).

واولئك هم ورثة الانبياء ومبلغو رسالات الانبياء، ولا يزالون على ثبات ويقين، لا يضرهم من خذلهم ورضي بالحياة الدنيا وخلد إلى زينتها ومتاعها، منّ الله عليهم بالبصيرة والوعي فصاروا ينظرون بنوره، ويهتدون بهديه.

---

[1].نهج البلاغة : ص 321، طبعة دار التعارف

[2].السجدة : 16

[3].القيامة : 22-23

رسائل من القرآن الكريم: 77

(ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) الحجر: 3

<u>الأمل أملان :</u>

الأمل الكاذب، الامل الذي يتعلق بالخيال والوهم، ويبحث عن الماء من خلال السراب، او كبناء الاهرامات التي نبنيها من الرمال، فسرعان ما تنهار، او كالجرف الهاري الذي تآكل من تعرية المياه ...او كتمثال ذلك الفنان الذي انفق عمره في صناعته واتقان فنه فيه، و جعل فيه عصارة روحه وآماله، وشام فيه الحياة والخلود، ولكنه في النهاية يقف امام تمثاله الحجري الاصم، في الوقت لم يعد فيه جذوة شباب وصبوة حياة ....لقد هرم، ووقف امام تمثاله الاخرس، يندب حلمه الضائع، لتنتهي الحياة عند اليأس المقهور، ويمضي القدر في عمله، دون ان يخضع لقوانين القلب الآدمي المحطّم، والأمل الآدمي المخدوع، وهو يردد : لقد ضاع عمري وراء السراب الخادع !!

تلك آمال الناس في الحياة الدنيا، وذلك هو أملهم الخادع الذي كانوا يلهثون وراءه ليؤمنوا آخر المطاف بقول من خلقهم:(وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ)[1].

اما الأمل الصادق فهو الذي يستوحى من قوله تعالى:(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا)[2]، ذلك هو المستقبل

---

1. الحديد : 20.
2. الكهف : 46.

الحقيقي، وليس هذا المستقبل السراب الذي يقول عنه الناس : (اريد ان ابني مستقبلي)، وليس ثمة مستقبل إلا هناك، إلى الوطن الأصلي الذي خرج منه الانسان يوم خُلق، ليعود اليه إذا جعله مستقبله، وسعى له سعيه!

والأمل الصادق هو في ذلك الرجاء الصادق الذي يراه صاحبه رأي العين ولمّا يره بعد: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ)[1]. والذي كان يبعد عنه 40 سنة، كما هو الحال مع سيدنا يعقوب، وهو يرقب عودة يوسف، بل وعودة اخوته معه جميعا!!

هذان هما الأملان: امل تركض وراءه سرابا، يُلهيك: (ويلهم الامل) عن ماء الحياة الذي تبحث عنه ليحييك، وأمل انت تمسك به وهو بعيد عنك، لانه وعد غير مكذوب ولا واهم ولا خادع (وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا)[2].

فاعرفْ إلى ايّ الأملين انت ناظر، والى ايّ الأملين انت ساع وعامل!!

---

[1] .يوسف : 83

[2] .النساء : 122

رسائل من القرآن الكريم: 78

(أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ) يونس: 62

أولياء الله :

هناك فهمان لمكان وزمان ذهاب الخوف والحزن عن اولياءالله:

الاول : أنهما في اليوم الآخر، عندما يكون أولياء الله في جنان الخلد، اذ لاخوف ولا حزن في ذلك العالم الذي لا يعرف فيه اولئك الاولياء غير النعيم المقيم، ولاشيء فيما يعتري الانسان من مخاوف الدنيا وأحزانها.

والثاني : أنهما في الحياة الدنيا،حين يملأ الله قلوب أوليائه بمشاعر الاطمئنان التي تجعلهم في مأمن من الحزن على ما مضى في حياتهم من ضياع لمصالح او خسارة تتعلق بشؤون الدنيا او تقصير في طاعة من الطاعات، كما هم في مأمن من هواجس الخوف من المستقبل المجهول، مثلما يعتري بني آدم من مشاعر الحزن على ما مضى، والخوف مما ياتي، و هو ما ينغّص الحياة ويُذهب عن أهلها الاستقرار ويجعلهم في دوامة من الهلع والخوف والحزن (إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا)[1].

ولعله كان من الأجدى ان نسأل من هم اولياء الله، اولئك الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون، سواء أكان ذلك في الدنيا ام في الاخرة ؟

[1].المعارج : 19

قال الفخر الرازي: «ظهر في علم الاشتقاق أن تركيب الواو واللام والياء يدل على معنى القرب، فوليُّ كل شيء هو الذي يكون قريبا منه.

والقرب من الله إنما يتم إذا كان القلب مستغرقا في نور معرفته، فإن رأى رأى دلائل قدرته، وإن سمع سمع آيات وحدانيته، وإن نطق نطق بالثناء عليه، وإن تحرك تحرك في خدمته، وإن اجتهد اجتهد في طاعته، فهنالك يكون في غاية القرب من الله- تبارك وتعالى- ويكون وليا له-

سبحانه.- وإذا كان كذلك كان الله- وليا له- كما قال: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ)[1].

[1].البقرة : 257، وينظر مفردات الفاظ القرآن الكريم ، للراغب الاصفهاني، تحقيق، صفوان عدنان داوودي، ص885.

رسائل من القرآن الكريم: 79

- أ -

(لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ.

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ.

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ.

- ب -

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ.

لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ) الحشر: 8-12

مقارنة:

بعد أن رسمت السورة الكريمة، سورة الحشر، تلك الصورة الوضيئة للمهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان... بعد ذلك أخذت فى رسم صورة أخرى، متباينة تمام المباينة لصورة اولئك الصادقين، ألا وهى صورة المنافقين، الذين انضموا إلى كل مناوئ للدعوة الإسلامية، من اليهود في المدينة. بين صورة اولئك الذين آمنوا بالله ورسوله، وتحابّوا في الله، وآثروا على أنفسهم وهم فقراء وذوو حاجة، ونزعوا ما في صدورهم من غِلّ على اخوانهم، مثلما نزعوا خصيصة الشح والبخل اللصيقة بالنفس الإنسانية. وبهذه الصفات التي أكسبتهم الوحدة والقوة واجهوا اعداءهم، وكان عاقبة ذلك النصر والغلبة على اعدائهم، والفوز بالرضوان الالهي العظيم،بينما شخوص الجبهة الثانية لم تجمعهم عقيدة ولا مبدأ، فبعضهم منافقون ليسوا بمؤمنين، وبعضهم يهود في ظاهرهم الألفة وفي باطنهم الحقد والكراهية: (لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ)[1].

فلقد وعد المنافقون من جماعة عبد الله بن أبيّ بن سلول يهود المدينة بان ينصروهم إذا هاجمهم المسلمون، او يخرجوا من المدينة معهم إذا أُخرجوا، ولكنهم خذلوهم، وتركوهم يواجهون صولة المسلمين بعد ان كانوا خانوا الرسول وتحالفوا مع المشركين في مكة املا في القضاء على الدعوة الإسلامية الوليدة، ناكثين عهودهم والتزاماتهم مع الرسول (صلى الله عليه واله).

---

[1].الحشر : 14

وخلاصة القول في هذه المقارنة بين الصورتين، ان الصدق مع الله والوحدة بين القلوب تورث القوة والثبات والنصر، وان الاجتماع على المصالح بعيدا عن المبادئ والعهود تورث الفرقة والضعف والهزيمة والخذلان في الدنيا والآخرة [1].

[1].ينظر، تفسير الكاشف، لمحمد جواد مغنية، ج 7، ص، 292

رسائل من القرآن الكريم: 80

(نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى) الكهف:13

<u>إنهم فتية :</u>

هؤلاء الفتية الممدوحة صفتهم قد اجتمعت فيهم خصال تفرقت في غيرهم، فكانوا علماء بين قوم جهال، وكانوا مؤمنين وسط قوم كفار، وكانوا موحِّدين وسط قوم مشركين، وهذه الحال والوصف من موجبه إعلان العداء لهم، فما كان منهم إلا الثبات. فبإيمانهم هذا آثروا محبة الله على محبة سواه، وآثروا الفرار إليه على مصاحبة الأصحاب والأهل والأحباب، فتحققت خصلة إيثار المحبوب في عمل القلب، فكرهوا الردة، وكرهوا ما كان عليه قومهم، لذا قال الله على لسان بعضهم: {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً} [1]، ومن كانت هذه خصاله ذاق حلاوة الإيمان؛ فهؤلاء الفتية لما وجدوا أثر حلاوة الإيمان قاموا لله في ذاته قومة التوحيد، والدعوة إلى سبيله تعالى، والتعريف به رباً ومعبوداً، وبأسمائه وصفاته)[2].

هؤلاء الفتية اقبلوا على ربهم اقبال إرادة وتصميم، وتركوا وراءهم ماكانوا يعبد الناس من الهة او يطيعون من طواغيت وحكام، ولم يقف في طريق إيمانهم تهديد

---

1. الكهف : 20.

2. https://alhidaya.net/node/2340

او خوف من سجون او تعذيب، فكان ان ربط الله على قلوبهم وزادهم ايماناً على إيمانهم، وجعلهم ينجون بأنفسهم من القتل وبعقيدتهم من ان يفتنوا بها.

ان قرارا كهذا يدل على عمق ايمان ورجاحة راي، واصرار على تحمل اي نتيجة، فكان ان كفاهم ربهم من ذلك، وكان حسبهم ونعم الوكيل. وهذه رسالة لكل من يتردد في اتخاذ القرار الحاسم بين الايمان والكفر، وبين الكفار والانخراط في صفوف الدعاة الى الله من الانبياء واتباعهم في مراحل التاريخ كله.

ولعل الدرس المستقى من سيرة هؤلاء الفتية، ضمن دروس عديدة، ضرورة ان يتوجه الدعاة المغيرون إلى جيل الشباب الذين هم اكثر المراحل العمرية استجابة للتغيير واتباع منهج الهدى، نظرا لخلو اذهانهم من آثار العقائد الباطلة، كما انهم اكثر قوة في تنفيذ ما يناط بهم من توجيهات وتعاليم.

وربما يكون التوجه اليهم مظنة خطر، إذا كان من لدن اصحاب المبادئ المنحرفة، فلا بد من الإسراع لاحتضانهم قبل ان يكونوا أكلة لغير دعاة الحق، على ان يكون التوجه إلى هؤلاء الشباب توجها قائما على خطة ومنهج واضح وجذاب يستجيب لمنطق العصر ويستوعب مؤثراته وأدوات الضغط فيه، وهي أدوات ربما تشد الشباب اليها، اكثر من أدواتنا التقليدية غير المغرية وغير المؤثرة.

رسائل من القرآن الكريم: 81

(وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا) الإسراء: 35

<u>الإيفاء بالمكيال والميزان:</u>

امر مشترك بين الأديان والأعراف لان الحياة الاقتصادية والأسواق والمصالح التجارية لا تستقيم إلا به. وقد جاء في سياق الوفاء بالعهود، (... وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا) [1]، لانه نوع من الوفاء بالعهود الاجتماعية والسلامة على الامن الاجتماعي ومحاربة الجشع والاستغلال الذي يمارسه التجار في السوق، فيخلّون في التوازن الاجتماعي والاقتصادي.

وقد جاء التعبير القرآني موجها إلى الجماعة (وأوفوا) (وزنوا)، للإشارة إلى انه عمل يخص الجماعة وآثاره تتعدى الأثر الفردي الى المجتمع كله [2] .

والقرآن الكريم ينطلق من هذا المجال الحسي المادي (المكيال) و(الميزان) وما يكال فيهما ويوزن، إلى العالم الأرحب من القيم والمبادئ القائمة على العدل والإحسان التي هي من صميم الرسالات السماوية في مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

---

1. الإسراء : 34.

2. ينظر، في ظلال القرآن الكريم ، مج 4 ، ص 2226 .

ان الحديث عن المكيال والميزان في شأنهما المادي منطلق الى الحديث عن ميزانين ومكياليين اخرين في مجالات الحياة المعنوية التي على ضوئها يستقيم المكيال والميزان الماديّان، بمعنى ان المجتمع الذي تسوده القيم والمبادئ السماوية العادلة في مجالات الحياة كافة، لا يمكن ان ينقص أحد أفراده شيئا من المكيال والميزان، ولو حدث ذلك بتصرف فردي، فان القانون والعرف الاجتماعي الذي يستظل بظل تلك المبادئ، يردعه ويمنعه ان يمضي إلى غاياته.

ويلاحظ في السياق القرآني غالبا، انه يربط النتائج بالمقدمات، ويعطي للدنيا حقها وللآخرة حقها، على تفاوت في مساحة كل منهما وعطاء كل منهما، كما هو ختام هذه الاية (... ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا)، خير في الدنيا، وصلاح لحياة الفرد والمجتمع، حين الإيفاء بالمكيال والميزان، وحسن مآل وعقبى من الرضوان الالهي في الاخرة.

رسائل من القرآن الكريم: 82

(فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا. يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا. وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا) نوح: 10-12

<u>آثار الاعتقادات المعنوية:</u>

إنّ القرآن يقيم رابطة بين المسائل المعنوية والماديّة، فيعدّ الاستغفار من الذنب والتوبة إلى الله أساس العمران والخصب والزيادة في القوة والاقتدار.

فأيّ مجتمع يكون ملوّثا بالذنب والخيانة والنفاق والسرقة والظلم والكسل وأمثال ذلك، ثمّ يكون هذا المجتمع عامرا كثيرا البركات!؟

وأي مجتمع يغرق أفراده في دوامة الهوى والميول النفسيّة لا يكون عرضة للدمار والخراب؟! فينبغي القول بوضوح إنّه ما من مسألة أخلاقية إلّا ولها أثر مفيد و نافع في حياة الناس الماديّة، ولا يوجد اعتقاد وإيمان صحيح إلّا و كان له نصيب في بناء مجتمع عامر حرّ مستقلّ و قوي...[1].

وإذا كان الدين عبارة عن سلسلة من التشريعات والآداب الظاهرية والخالية من المحتوى بين الناس، فمن البديهي أن لا يكون له تأثير في النظام المادي.

---

[1].عن تفسير(الأمثل) بتصرف.

ولكن حين تكون الاعتقادات المعنوية و الروحانيّة نافذة في روح الإنسان إلى درجة تظهر آثارها على يده ورجله و لسانه و أذنه و عينه و جميع ذرات وجوده، فإنّ الآثار البنّاءة لهذه الاعتقادات في المجتمع لا تخفى على أحد.

وقد لا نستطيع إدراك علاقة الاستغفار بنزول البركات المادية جيدا، ولكن دون شك فإنّ قسما كبيرا منها يمكن أن ندركه! لقد شاهدنا في مواجهات المسلمين الثائرين مع الكفار في هذا العصر أنّ الإعتقادات الإسلامية والقوى الأخلاقية والمعنوية استطاعت أن تنتصر على أحدث الأسلحة المعاصرة وأقوى الجيوش والقدرات الاستعمارية، وإن دلّ ذلك على شيء، فإنّما يدل على أثر العقائد الدينية الإيجابية والمعنوية إلى أقصى حدّ في المسائل الاجتماعيّة والسياسيّة والحياة العامة.

رسائل من القرآن الكريم: 83

(ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ) تبارك:2

<u>في طيّات البلاء تولد الكرامات:</u>

حينما نواجه الصعاب والشدائد، قد نشعر أن الأمل يتلاشى وأن العبء يفوق طاقتنا. ولكن التاريخ والقصص العظيمة تخبرنا بأن في قلب المعاناة تكمن أعظم النعم. تذكّرنا قصة السيدة مريم عليها السلام عندما قالت: (يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا)[1]، وهي تحمل في بطنها نبيًا سيغيّر وجه التاريخ، بأن الفرج قد يكون أقرب مما نتوقع.

البلاء هو جزء لا يتجزأ من حياتنا، فهو يختبر صبرنا وإيماننا، ويعلمنا أن ننظر إلى ما وراء الظاهر. قد نرى في البلاء نهاية، ولكنه في الواقع قد يكون بداية جديدة وفرصة لإظهار الكرامات والقدرات الخفية التي لم ندركها من قبل. فكثيرًا ما تأتي الحلول العظيمة من رحم الأزمات، وتنفتح أبواب الفرج بعد أن نعتقد أن كل الأبواب قد أغلقت.

[1] مريم : 23.

علينا أن نتعلم من هذه القصص ألا نفقد الأمل، وألا نسمح للشدائد بأن تسلبنا إيماننا بقدرة الله ورحمته. فإن الله تعالى وعدنا بأن يجعل بعد العسر يسرا: (سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا)[1].

إذًا، لننظر إلى البلاء بعيون مختلفة، بعيون ترى الإمكانات والفرص التي يحملها. لنعلم أن كل محنة تحمل في طياتها منحة، وأن كل أزمة هي بداية لطف إلهي قادم. فلنصبر، ولنبقَ مؤمنين بأن الله لا ينسى عباده، وأنه لن يتركنا في مواجهة الصعاب وحدنا.

ونظرة الى تاريخ الانبياء (سلام الله عليهم) ترينا كم من الابتلاءات عانوا، وكم من المحن واجهوها في طريق دعواتهم، وكم من التضحيات قد قدموا، ان طريق الجنة محفوف بالمخاطر، ولا توجد جنة دون محن وابتلاءات. هذه الحقيقة التي يجهلها اكثر الناس، وربما بعض المتدينين ممن يضعف امام الابتلاء، ولا يصبر، في حين انه يعرف ان الابتلاء نوع من التمحيص (وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ)[2]، وبعده المزيد من العطاء الرباني والرضا الرباني العظيم.

---

[1].الطلاق : 7

[2].ال عمران : 141

رسائل من القرآن الكريم: 84

– أ –

(إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا) النساء: 97

– ب –

(وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ.

أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ) ال عمران: 135–136

<u>فرق بين ذنبين:</u>

في هاتين الايتين او المجموعتين يتحدث القرآن الكريم عن حالة مؤمنين، ولكن الموقف منهم مختلف، والحكم الالهي فيهم مختلف.

فالمجموعة الاولى من المؤمنين أُمروا ان يهاجروا في المرحلة الاولى من الدعوة الاسلامية من اجل الحفاظ على دينهم امام ضغط الكفار ان يفتنوهم عن دينهم. وبما ان الامر يتعلق بمصير دين ومصير أمة توحيدية ناشئة، فان الذنب او مخالفة الأمر الالهي او النبي خطير، وله تداعيات اوسع من الأثر على الفرد

نفسه؛ ولهذا جاءت العقوبة شديدة (فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) رغم انهم كانوا مؤمنين بالرسالة ورسولها، ولم يكن لديهم انحراف في عقيدة او تصور، ولكنه الضعف والركون الى الاستقرار في الوطن بين الأهل وتفضيل المصالح الشخصية على مصلحة الجماعة.

أمـاّ المجموعـة الثانيـة مـن المـؤمنين، فهـي التـي تقتـرف الـذنب مهمـا بلـغ مـن الفحش، ولكنه من النوع الفردي الذي لا يتعلق بمصير الامة او العقيدة الجماعية للامة، ثم انها بعد ذلك تبادر إلى التوبة وذكر الله الكثير، ولم يصروا على الذنب ولم يكرروها ألا تجد الفرق كبيرا بين المعصية التي تنعكس على مصيرالجماعة والمعصية التي تنحصر في نطاق فردي ضيق وتعالج بالتوبة والاستغفار؟.

فليحذر الذين يذنبون من ان يكون ذنبهم يمتد اثره على مصالح الامة وعقيدتها ووحدتها، كأن يمكّن اعداءها او يمهد لثقافتهم ومشاريعهم التي تستهدف الامة حاضرا او مستقبلا.

رسائل من القرآن الكريم: 85

(ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ). طه: 24

رسائل عديدة إلى موسى:

أولاً : (اذهب)، بما فيها من أمر جازم من ربه وصانعه ومصطنعه على عينه.

ثانياً: (إلى فرعون) الذي لم يكن له مثيل في الطغيان والعتو على وجه الارض، ولهذا استدعى ان يكون الأمر فيه حزم وقوة تناسب قوة التحدي القادمة.

ثالثاً : (انه طغى) فلقد بلغ فرعون ذروة الطغيان، فلا بد من ردعه،فان الله يمهل ولا يهمل.انه امر مع بيان مسبباته لكي يكون تنفيذه اكثر إلزاما

رابعاً : (قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي) هنا استدعى التنفيذ الى الاستعانة لان الأمر جلل: انه فرعون بجبروته وطغيانه ! وليس بمقدور احد انذاك ان يقف في وجهه إلا من يستعين بقوة اعظم منه. ومن يشرح صدر موسى لهذه المهمة الكبرى غير الله، ومن ييسر له امره غير الله (ويسر لي امري) ؟

خامساً : (وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي)، فبالاضافة إلى قوة العقيدة وصدق التوجه، وإسناد السماء، تبقى نسبة من الحاجة الى أدوات التنفيذ : لسان فصيح ومنطق سليم، يوصل من خلاله الرسالة الى البشر الذين هم اكثر شيء جدلا، فكان ان طلب موسى من يعينه على التعبير ليفقهوا قوله، ويوصل رسالته، فكان ان طلب النجدة، فكانت :أخاه هارون! (وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي).

سادساً : (كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا) وفي هذا إشارة الى العمل الجماعي وثماره في تحقيق الأهداف العظيمة. ان موسى على جلال قدره لم يستطع ان ينجز المهمة وحده فطلب من ربه ان ينجده باخيه لتحقيق هدفين اثنين : تحقيق أقصى درجات العبادة من الذكر والتسبيح، وايصال الرسالة كأفضل ما يكون الإيصال والتبليغ.

لقد أطال موسى في اسئلته، وبسط حاجته، وكشف ضعفه، وطلب العون والتيسير من ربه. وربه يسمع له، وها هو الكريم المنان لايُخجل ضيفه، ولا يرد من دعاه، ولا يبطئ بالإجابة الكاملة : (قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ)[1].

[1].في ظلال القرآن الكريم ، مجلد 4، ص 2333.

رسائل من القرآن الكريم: 86

(طه. مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ. إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ) طه: 1-3

بين الذكر والنسيان:

وردت كلمة الذكر ومشتقاتها في سورة (طه) سبع مرات، ووردت كلمة النسيان بصيغة الفعل خمس مرات. وبدأت السورة بالذكر وانتهت بالنسيان.

والسورة كلها مخصصة لقصة موسى وفرعون، وان ابتدأت بتوجيه الحديث الى سيدنا محمد (صلى الله عليه واله) والى وظيفة القرآن الكريم ووظيفته في التذكير.

(ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي)[1]: ان لديكما السلاح والقوة والضياء والبصيرة حين تستحضران (ذكري)، ووجودي وقوتي ورحمتي وهدايتي وحفظي لكما، من دون نسيان او ضعف او فتور او ونىً منكما، لانه بمجرد ان تمر على الانسان لحظة ينسى فيها هذا الذكر واستحضار القوة الإلهية، يكون قد أُسلم إلى قوته البشرية المحدودة والضعيفة.

ولقد كان موسى يعرف انه بدون هذا الاستحضار الدائم والكثير للذكر الالهي لن يقوى على المهمة العظيمة التي أوكلت اليه:

إنّه فرعون الذي يُخشى من بطشه؛ لانه لا يتذكر ولا يخشى ولو بقليل من التذكر او الخشية، بل كان سادرا في غيه وطغيانه.

---

1. الاية : 42

إنّ من يغفل عن ذكر الله يخرج من رعاية الله الى قوته هو وحوله هو، ولن تكون هذه القوة بحامية له من الشيطان الذي بين جنبيه، ولا بحامية له من شهواته، ولا حامية له من الفرعون الذي يوجد في كل زمان صغر او كبر جبروته.

فكيف إذا اعرض عن ذكر الله كليا، وحادّ الله وحاربه ؟

(وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ)[1].

فمن انقطع عن الاتصال بي واعتمد على نفسه وقوته وحوله، فانه سيعيش هذا القلق الذي لا يريم، والخوف من المستقبل، والخوف عما يحتمله من ضياع ما بين يديه، او الخوف من المجهول ما بعد الموت الذي ينتظره، ولم يعلم اي شيء عن مآله فيه !

انه نسيان بدرجة الأعراض والمحادّة لله، ذلك الذي يورد الانسان إلى المهلكة، والى الحشر اعمى بين عميان (قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ)[2]، ان ذلك النسيان لم يكن عن غفلة او ونىً، بل عن إعراض وانكار ومحاربة لله ورسله، ولذلك اقتضى ذلك العقاب!

ان ثمة فرقا بين نسيان آدم عليه السلام ونسيان فرعون الذي اعرض كليا عن الله، ونسياننا الذي يكون عن تعب وغفلة، فكل نوع من هذه الأنواع ميزان عند الله

---

1. الاية : 124
2. الاية : 126

الذي يعلم درجات قربنا ودرجات بعدنا عنه. والذي (لا ينسى) سبحانه وتعالى يعرف درجات نسيان الذين ينسون!

إنّ معمارية السورة تقوم على هذه الثنائية بين الذكر والنسيان، بين الذكر الذي يحمي الإنسان ويرعاه ويجعله في قرب وحماية من ربه، وبين النسيان الذي يورده المهالك حسب درجة ذلك النسيان!

إنّ الله يبتدئ الانسان بالتذكير، ولكن الانسان ينتهي إلى النسيان، وهذا ديدنه، فبقدر ما يذكره ربه، يكون النسيان ملازما له، مثلما ما بدأت السورة بالتذكير (إلا تذكرة) وانتهت بالنسيان (وكذلك اليوم تُنسى).

رسائل من القرآن الكريم: 87

(شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ...) الشورى 13

<u>اقامة الدين:</u>

خلق الله سبحانه الخلق واخذ عليهم العهد على توحيده واخلاص العبادة له في النية والقول والعمل، وإقامة دينه الذي فطر النفوس عليه.

وقد أوصى بذلك أنبياءه كلهم من عهد اول الانبياء آدم عليه السلام الى آخرهم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه واله)، أوصاهم بان يحملوا الدين رسالة يبلغوا بها من لم تصله، ويوضحوا مقاصدها لمن وصلته غير واضحة. هذه هي وظيفة الانبياء، منذرين ومبلغين.

وقد لاقى الانبياء ما لاقوا من عذابات وتكذيب وهم يبلغون رسالة الدين التي تتلخص بالدعوة إلى التوحيد وما يتبعه من أوامر ونواهٍ ومنهج حياة. ان اقامة الدين تعني سلوك السبل الممكنة كلها: الكلمة والصورة وانواع الفنون والجهاد والتربية والتعليم، والسعي لإقامة الحكومة الاسلامية التي تتبنى من خلال برامجها التربوية والاجتماعية والسياسية اطروحات الدين وتطبيقاته في الحياة.

إنّ دينا لا يتبناه احد، ولا يرفع لواءه احد، ولا توجد حكومة تنفذ بزامج عمله، وجعله أساس الحياة في كل فعالياتها الاجتماعية والسياسية، وليس وقفا على

العبادات في أوقاتها وأماكنها المحددة، ان دينا كهذ لا يوجد على الارض، وانما لم يرسل بعد!

والدين انما بعث لخدمة الناس وإسعادهم وإبعادهم عن التيه والضلال، والناس بخدمة الدين في امتثال اوامره ونواهيه، واعلاء شأنه، وتمثله سلوكا ورسالة، وليس شعارا وتجارة، ومُكاء وتصْدية وتقاليد وأعرافاً وحروباً وامتيازات!

ان اقامة الدين تعني جعله أساس الحياة الفردية والاجتماعية في سلوك الأفراد ونظم الحياة،كاملا غير منقوص، فكما المسطرة لا تسمى مستقيمة إلا إذا كانت مستقيمة مائة بالمائة، فكذلك اقامة الدين لا تعد إقامة إلا إذا طبق كاملا ، لانه ارسل كاملا : (اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا) [1]، ويستجاب له كاملا من باب الشكر على هذا الإتمام.

ولا يفهم من هذا ان المسلمين يكونون سواء في فهم الرسالة بلحاظ اختلاف وعيهم وقدراتهم، وانما المقصود ان القادرين وذوي العلم والحكم كما الانبياءيبلغون الرسالة كاملة دون تجزئة ودون رضوخ لأية مساومة على حساب المبادئ، بل مضيٌّ بحملها وتبليغها عبر التضحيات الجسام.

إنّ دينا أقامه الانبياء وشيدت بنيانه الأجيال من ورثة الأنبياء، لا ينبغي ان يضعف بعصبية وغلو لمذهب او راي، وتفرق في اصل من أصوله، لان من شأن

---

1. المائدة : 3

التفرق في أصول الدين ومبادئه مدعاة لضعفه وضعف حملته، وانتهاء بغضب الله وسخطه.

رسائل من القرآن الكريم: 88

(وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ)الصافات : 24

لأنهم مسؤولون:

على الرغم من اننا كلنا سنسأل يوم القيامة، ولكن كل حسب مسؤوليته في الحياة، وكلما كانت مسؤوليتنا هنا كبيرة تكون وقفتنا هناك كبيرة، وما ادراك ماهناك! (وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ)[1].

عندما يرى احدنا شخصا ذا مسؤولية سياسية او اقتصادية او دينية قد يحسده او يغبطه، ويتمنى ان يكون إياه، ولكنه لايدري لو كان، أيعطي تلك المسؤولية حقها ام لا، فلربما قال: هؤلاء محاسبون عن كل من معهم ومن حولهم، وانا –والحمد لله – غير مسؤول إلا عن نفسي!!

كلنا نهوى المسؤولية، وكلنا يحب ان يكون ذا مال وذا شركات، وذا رئاسة وتحت إمرتنا المئات او الالوف من الناس، ولوعرفنا العواقب لتمنينا ان نكون اقل مالا وأقل مسؤولية لنكون اقل حسابا وأقل وقوفا بين يدي الله.

قد يكون هذا الكلام محل نظر إذا فهم انه قتل للطموح، وتحجيم للمواهب، وتزهيد بالمواقع التي تتحقق من خلالها المبادئ وتجسد من خلالها الأفكار إلى مشاريع، والنظريات الى واقع من خلال تسنم المسؤوليات.

---

1. مريم : 39

أقول ان هذا لم يكن المقصود من التزهيد بتحمل المسؤوليات الكبيرة، وانما المقصود ان نحمل تلك الأمانات ولم نعطها حقها، فتتحول إلى أغلال في أعناقنا يوم القيامة. أما إذا طمحنا الى الدرجات العلى، درجات العلم والعمل في الدين والدنيا، والمسؤوليات الكبرى التي نحقق بها أهداف الرسالات الالهية، وكنا اهلا لتلك المسؤوليات العظام، فذلك هو المطلوب، وذلك هو المبتغى! وستكون وقفتنا بين يدي الله وقفة تكريم ونيل جائزة النجاح والفوز بالرضوان ، وسنكون ممن قال عنهم ربهم: (لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ)[1].

اقول: ان المسؤولية التي نحاسب عليها هي المسؤولية التي نقصر فيها او نضيعها، ولم نعلم اننا سنسأل عن كل صغيرة وكبيرة فيها يوم الجزاء، ولكن المسؤولية التي نحقق فيها امل الامة، ونقيم فيها العدل، ونستعمر بها الارض، ونجعل الحياة اكثر جمالا، وأكثر عطاء، لهي المسؤولية التي نطمح اليها ولن نتردد في تحملها، لانها المرقاة إلى جنان الخلد التي وُعدنا بها : (وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)[2].

---

1. الانبياء : 103

2. الزخرف : 72

رسائل من القرآن الكريم: 89

(لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) الحديد : 23

الحياة المطمئنة حقا:

أرايت الى هذا النموذج الإنساني الفريد الذي يرسمه القرآن الكريم مما لم يُسمع عن مثله في هذه المجتمعات الغنية والممتلئة بالقوة والجبروت ؟ انهم أغنياء وأقوياء ولكن القلق والخوف من المجهول يقضّ مضاجعهم ! المجهول في الدنيا، والمجهول في الاخرة!

أما هذا النموذج الفريد، وهذه النفس المطمئنة التي لم تحزن على شيء فات ولو كان ملء الدنيا ذهبا، ولم تفرح بما هو بين يديها ولو كان ملء الدنيا ذهبا ! على خلاف من في الارض جميعا ! انها تلك النفس التي وصفها القرآن الكريم راجعة إلى ربها ،راضية مرضيا عنها ، غير حزينة على ما فاتها، ولا مغرورة بما آتاها : (يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ، ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً)[1].

إنّ هذه النفس عرفت أن الامور مقدرة من الله، ومكتوبة في اللوح المحفوظ، فلا يؤخرها حزن ولا يقدمها فرح. واذا كان الأمر كذلك فلمَ الحزنُ ولم الاختيال ؟

فلا حزن أعاد فائتا، ولا فرحا أبقى آتيا!

---

1. الفجر : 28-29

إنّ مقياس السعادة في هذا الاطمئنان الذي ما بعده اطمئنان، ولاسعادة لمن ادعاها في غمرة هذا الحزن الذي فات، والفرح المنقوص فيما هو ات!

ولعل اكثر المطمئنين ايماناً هم اولئك الذين بايعوا الله على نصرة دينه، وحمايته من عبث الضالين والمنحرفين، وتبليغه الى الناس، مع مافي هذا التبليغ من مشقة وعنت، على خطى الانبياء والمصلحين، ولايضرهم بعد ذلك على اي جنب كانت في الله مصارعهم. ولن يحزنوا على حطام هذه الدنيا، ولم يفرحوا بالزائل منها، انما همهم الرسالة من حيث سموها وسيادتها، والمؤمنون بالرسالة من حيث وحدتهم وقوتهم وحفاظهم على دينهم. وتلك هي سعادتهم. وذلك هو فرحهم الدائم، وسيكونون في جنة (أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَآ ...)[1].

1. الرعد : 35

رسائل من القرآن الكريم: 90

(يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ) يوسف: 87

اليائسون من رحمة الله :

الامل والأيمان صنوان لا ينفصل أحدهما عن الآخر، واليأس والكفر صنوان لا ينفصل احدهما عن الاخر. فالمؤمن يركن إلى الواحد القهار الذي له مقاليد السماوات، والأرض جميعا قبضته، فكيف يضيق عليه أفق، ام كيف يمسه طائف من اليأس ؟

أما الكافر فليس له ركن يستند عليه، وإنْ رَكَنَ، فهو يركن الى من هو بحاجة إلى رُكْن، ضعف الطالب والمطلوب، بل هو يدعو لَمَنْ ضُرّه اقرب من نفعه !!

ذلك هو شأن الواثقين بالله الذين يظنون انهم ملاقو ربهم، وشأن الذين ركنهم سراب وأعمالهم كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف.

ولقد كان سيدنا يعقوب، ذلك الجبل من الصبر والثقة والأمل بعودة حبيبه يوسف في أربعون سنة من المواجهة مع المثبطين والمشفقين والقائلين: إنَس شيئا اسمُه يوسف، ولكنه لا يلقي اليهم السمع، ويأمر أولاده الذين هم انفسهم الذين غيّبوا يوسف في الجب، وادّعوا ان الذئب أكله، يرسل من يقال عنهم (المجرب لا يجرب)، انهم جُرِّبوا بالكذب والخيانة، ولكنه يرى أنهم أدوات، والذي سيبعث

البشارة معهم هذه المرة، هو نفسه الذي حفظ يوسف وتنقل به من البئر إلى الرعاية في بيوت الملوك الى سدة الحكم والى تحقق الرؤيا الصادقة!

يأمرهم بالذهاب والتحسس من يوسف، والبحث عنه برفق وبصيرة وحكمة، لان من شأن الأمور العظيمة ان تُتناول بتأنٍ ورويّة وتتبع للأثر المرئي وغير المرئي، كل ذلك بما لدى الباحث من (بروجكتر) الامل والثقة، وذلك ليكون ما ليس في يدك أرجى مما ليس بين يديك !،كما قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(ع)[1].

وبعدها كيف كانت النبوءة حقيقة وكيف كان الحلم واقعا: يوسف يستقبل أبويه ويرفعهما على العرش، ويخرّان له سجدا!!

أعطني نبياً واحداً ضَعُف او استكان او يئس، او قائداً مؤمنا ناجحا، تردد او اختلطت عليه الأهداف، فجبن وخاف ويئس!

بينما الكثير من الكافرين ممن يئس او خارت عزيمته تمتلئ بهم صفحات التاريخ.!

مما تقدم يلحظ أنه في طريق الحق يتعين ألا يستسلم المؤمن لأحزانه، التي تريه الآفاق مسدودة، والآمال معدومة، وأن أي معطى أو معرفة تبعث إليه الفأل من جديد ينبغي تتبع خيوطها، والبناء عليها؛ فاليأس كبيرة مذمومة تقتل الحركة وتنفر

[1]. ميزان الحكمة، ج2، 1041.

من الانبعاث والمضي في طريق مبدأهُ عند الاستقصاء والبحث عند منتهاه تحقيق الآمال العظام .

انه لا يمضي في طريق الامل والثقة إلا المؤمنون، و(لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ).

رسائل من القرآن الكريم: 91

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ) البقرة: 143

وسطية و شهادة:

الوسَط: الخير والعدل والتوسط في الأمور، فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو في العقيدة او العمل، ولا تضييع واهمال. هذا شأن العقيدة الإسلامية، وشأن معتنقيها، خيرا وعدلا وتوسطا.

أمة هذه صفاتها وهذه وظيفتها، اختارها الله بعد رحلة طويلة من اداء الأمم السابقة، وتجارب الانبياء معها، لتكون شهيدة على الأمم الأخرى كأمة، ويكون المسلمون شهداء على من يبلغونهم، وفي النهاية يكون الرسول شاهدا على المسلمين انفسهم.

(أمة وسطا): بين التجرد الروحي، والإيغال المادي.

(أمة وسطا): بين العقاب والتشدد، وبين التهذيب والتربية

(أمة وسطا): بين إشباع حاجات الفرد وبين تلبية ضرورات الامة ووجودها.

انها الامة الوسط التي تشهد على الناس جميعا، وتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم، وتكون لها الكلمة الفصل فيما هو الحق وما هو الباطل، ولا تتلقى من الناس او الدول تصوراتها وقيمها وموازينها.

أمـة كهـذه تعـرف دورهـا و تعـي مسـؤوليتها، تتحمـل التبعـات وتبـذل التضـحية، فللقيادة تكاليفها، فلابد من المحن والابتلاءات ان تمر بها، لكي تتمحص وتخلص العبوديـة لله، وتسـتعد للطاعـة المطلقـة الراشـدة التـي تعمـل علـى التهيئـة لهـا او تمارسها [1].

وبناءً على حاضر الامة وما هي عليه من التخلي عن منهج الله، وماهي عليه من الذل والهوان، حتى أصبحت للاعداء مناصرة ومع الظلم متحالفة، فإننا افرادا ، لايسقط التكليف عنا، ولاتسقط الشهادة عنا، (لتكونوا شهداء على الناس): انه التكليف الالهي لنا في دعوة الناس إلى الخير والحق، والتكليف الالهي لنا ان نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، والتكليف الالهي لنا بان نسعى لإقامة الدولة الاسلامية التي تقيم العدل بين الناس [2]

ولن نتردد ولن نتراجع عن اداء عملنا شهداء على الناس من خلال دعوتهم إلى منهج الله، والعمل على تحقيق حلم الانبياء : دولة الحق والعدل

---

[1]. ينظر قوله تعالى : (لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ) سورة الحديد : 25

[2]. ينظر : في ظلال القرآن الكريم بتصرف، المجلد الاول، ص 131.

رسائل من القرآن الكريم: 92

(إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ) المجادلة: 10

من أساليب الحرب النفسية:

إبتداءً يامرنا الله سبحانه أن إذا اجتمعنا او خلونا الى بعضنا ان يكون حديثنا ونجوانا وإسرارنا في الحديث كله في الخير والبر والإحسان، وبناء الانسان والاوطان،وإعمار الحياة بما يصلح النفوس والأبدان، ولاتكون هذه الأحاديث تناجيا بالإثم والعدوان، وإفساد العلاقات بين بني البشر القريبين منا والبعيدين لأننا جئنا لنصلح قلوب الناس ونوظف طاقاتهم للخير، ولا نجعلهم يقضون أوقاتهم يلوكون لحوم الناس، ويتفكهون بالحديث عن اعراضهم [1].

هذا فيما يتعلق بمنهجنا، مستوحى من التوجيه الالهي الذي يريد تربية البشرية على منهج الخير والصلاح والرشد.

اما منهج الضلال والكفر والانحراف، فمنهج آخر، وعمل آخر، وكلام آخر، يظهرون غير ما يسرون، ويبيتون القول ايذاءً للمؤمنين. ويلجأون الى كل أسلوب او حديث من شأنه ان يوهن جبهة المؤمنين، او يفتّ من عضدهم.

---

1. راجع الآية التاسعة من سورة المجادلة.

انظر إلى هذا الأسلوب النفسي والإعلامي الخبيث: يجتمعون عن بعد، وعلى مرأى من المؤمنين، ليرسلوا اليهم رسالة نفسية اننا نجتمع من اجل التخطيط لمحاربتكم، وإلحاق الاذى بكم.

وربما وجدت هذه الرسالة صدى في نفوس الضعاف من المؤمنين وربما شعروا بالخوف، او توجسوا خيفة من قوة الكفار، واجتماعهم على حرب المسلمين، مع الشعور بان المسلمين لا قبل لهم على مواجهة هذا التجمع الكبير للمشركين، مع كثرة في العدد ووفرة في المال والسلاح، في حين ان المشركين ليسوا بمثل هذه القوة التي يريدون إيصالها الى المسلمين، وان المسلمين ليسوا بهذا الضعف الذي يشعر به الضعفاء منهم !

ان مجرد اجتماع المشركين، ولو لم تكن لهم قوة، ولم يكونوا قادرين على غلبة المسلمين، ان مجرد هذا الاجتماع هو رسالة إعلامية وحرب نفسية مفادها اننا قوة هائلة نستطيع ان نمحقكم من الوجود، وانتم قوم ضعاف لا قبل لكم على مواجهتنا. تماما كما تجتمع الدول الكبرى اليوم، لتوحي لمحور المقاومة بانهم يملكون الأساطيل وحاملات الطائرات وان محور المقاومة انما هم قوم قليلون، كما قال فرعون عن قوم موسى (إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ) [1]، بينما هم في واقع الأمر غير قادرين على تنفيد ما يهوّلون له في اعلامهم، انما هي (نجوى) بالإثم والعدوان، ورسالة لمحور المقاومة، ولكن اهل الثبات والايمان يعرفون هذه

1. الشعراء : 54

الأساليب من خلال تجارب الصراع مع اوربا في كل معارك المواجهة بينهم وبين المسلمين في العصور الحديثة، وفي حرب غزة خاصة.

وتختتم الآية رسالتها إلى المؤمنين أنْ لنْ يضركم مكُر هؤلاء، وان اجتمعوا وتناجوا وأوحوا واعلنوا، وان بيوتهم أوهن من بيت العنكبوت، فالمعارك تقاس بالثبات وعدم الاستسلام، وان قدمت الآلاف من الشهداء، فالعبرة بالمواقف، والتاريخ يسجل هذه المواقف، والله ينصر من ينصره ولو بعد حين.

رسائل من القرآن الكريم: 93

(وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ)

النور : 16

<u>خطورة ما نسمع، وخطورة مانصّدق :</u>

أكثر من عشر آيات في سورة النور تحشد لهذا المعنى، وتحذر منه وتوجه الى ما ينبغي فعله حين نواجه مثل هذه الحالات والمواقف [1].

إنّ هذه الأداة (السمع) لَموضع فتنة وموضع ابتلاء عظيم، واننا نتعامل معها بتساهل كبير، ونحسبه هينا وهو عند الله عظيم ! ونخوض فيه وفي غيره إلى النهاية مستأنسين ومتفكهين في تقطيع الوقت والسمر من دون ان ندري أننا نحرق اعمالنا ونقطع أرحامنا، ونهدّ ما بنينا هدّا ، ونجعل الحياة سوداء بلقعا خالية من كل خضرة او معروف او جمال، انه توظيف لهذه الحاسة الجميلة والنعمة الكبيرة لتدمير الأواصر بين الناس وجعل الحياة غير قابلة للتعايش والحب والألفة، وانما هي حياة مليئة بالتوجس من المؤمنين وقطع العلائق معهم وتصديق كل ما يقال عنهم، وكأننا لم نكن اخوة، ولم نستمع الى كل ما وجهنا اليه ربنا في سورة الحجرات وفي غيرها من آي الذكر الحكيم !! اننا إذا مضينا في هذا الشوط إلى نهاياته نخشى ان نكون خارج المنظومة البشرية، فضلا عن المنظومة الايمانية ذات الخصوصية في العلاقات والمصير في الدنيا والآخرة.

---

[1].من الآية 11 الى الآية 20.

إنّه لتحشيد عجيب، وتوجيه ملح، لافت للنظر، ذلك التحشيد في عدد الايات وكثرة التوجيهات في سورة النور، لامر عظيم، تُهدم فيه النفوس والعلاقات ويصبح فيه المجتمع مجتمعا في الشكل بينما هو مجتمع منخور من الداخل، لا يقوى على مواجهة اية هزة داخلية او تحد خارجي....

ذلك المجتمع الذي يفتح آذانه في الليل والنهار لكل ما يقال، وما اكثر ما يقال اليوم، ليس بين اثنين او ثلاثة، وانما بين الملايين من البشر عبر الفضائيات او وسائل التواصل الاجتماعي المتعددة في خدمات الهدم والتدمير والمحق!

وبسبب من هذا او غيره، والله أعلم بمراده، نجد هذه الوقفات القرآنية الطويلة والحاسمة من السماع والاستماع والتصديق والإسراع في النشر، وكأننا لا وظيفة لنا إلا ان نصدق ما يقال، وننشر ما يقال، ونبني على ما يقال حتى ولو كان على اخواننا وابائنا وأمهاتنا واخواتنا، ياالله!!!

ينهانا الله سبحانه في هذه الايات العشر وفي ما قبلها وبعدها عن ان نسرع إلى الاستماع إلى مايقال، والتصديق بكل ما يقال، ونشر كل ما يقال. ويضعنا امام مسؤوليتنا في الحفاظ على خصوصيات الناس، ووحدة المجتمع، وتقوية الأواصر بين الناس عموما، وبين المؤمنين خاصة. ويقول لنا انه لولا رحمة منه وفضل، لمسنا فيما نفيض فيه من ترويج للإشاعات، والأخبار الكاذبة، التي من شأنها إضعاف جبهة المؤمنين، وجدار صد إشاعة الفاحشة في الذين امنوا...

انها اعظم رسالة إلهية تسهم في البناء الاجتماعي، وتمنع من تصدع المجتمع وعدم تهدم حصونه من الداخل.

رسائل من القرآن الكريم: 94

(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)
النحل: 68

التعلم من النحل:

الحياة تجارب وحكم وعلم يؤخذ من الجماد والنبات والحيوان ومن الظواهر الطبيعية، ومن كل ما سخره الله للإنسان من هذه الوجودات.

نتعلم من الشمس عطاءها الدائم من دون ان تجبر نفسها او تتكلف في العطاء، ونتعلم من الوردة كيف تمنح عطرها لمن يشمها من دون منٍّ او خيلاء، كما نتعلم من النجم كيف يستهدي به المدلجون في سرى الليل، ونتعلم من النباتات حين تمرع و حين تجتمع وتمنح ظلها او رطوبتها لبعضها بعضا، او حين تكون منفردة كيف تقاوم الوحدةوالجفاف، مثلما نتعلم من الهدهد كيف يعلم احد الانبياء ما لا يعلم، ومن النمل حين يحث بعضه بعضا على الدخول في مساكنهم من خطر يداهمهم، او حين يجمعون زادهم في الصيف ليكون لهم مؤونة في فصل السبات !

وفي هذه الاية نتعلم من النحل دقة مساكنه، ونظام حياته، وتوزيع الأدوار والواجبات بين أفراده دون حيف او ظلم، ودون تكاسل عن عمل او اعتذار، انما هي حركة دائبة نحو الهدف المرسوم والمهمة المكلف بها هذا الكائن الصغير الجميل، بل نتعلم منها نظام الدفاع عن النفس والدفاع عن المجموعة والخلية كلها.

وثمار هذا كله عسل مصفى فيه شفاء للناس، وفيه حلاوة لا كأي حلاوة تخرج من بطون الحيوانات، كل ذلك من دون كلل او ملل او منٍّ او استعلاء، عبر عمليات معقدة من السكن في قِنَنِ الجبال، وتحويل ما يتناوله من زهور إلى سائل مركب من مواد متنوعة لتكون نوعا واحدا اسمه (العسل)، فانظر كم هو عزيز عند الله هذا الكائن الذي اسمه (الإنسان)، وكم هو عددهذه الكائنات التي سخرها الله لخدمة الإنسان وسعادته وتمتعه بالحياة في الفترة التي خصصها له ان يعيش ويعمّر الارض، ويقيم العدل بين أفراد جنسه من البشر.

إنّ الحديث عن النحل واخذ العبر منه في سلوكه الجماعي وفي دقة صنعه وأداء وظائفه، قد ورد في سياق الحديث عن قدرة الله وعظمته، وفي سياق النعم الكثيرة التي منّ بها على الإنسان، النعم الظاهرة والنعم الباطنة، ولعل أعظمها انه أودع فيه الفطرة التي تدله على خالقه، إنْ هو استثمر ما منحه من قدرات على الاستدلال والهداية.

رسائل من القرآن الكريم: 95

(أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) المائدة: 50

الحكم حكمان: حكم الجاهلية وحكم الإسلام:

جاءت هذه الاية في سياق الحديث عن اليهود، ورفضهم حكم الرسول في بعض القضاياالتي حدثت في تلك الفترة، وقد أمر الله رسوله ان يحكم بينهم بما انزل الله، بعيدا عما يريدون، وعما تريد أهواؤهم. ولم يكن الحكم الذي أُنزل بشأن قضية خاصة بهم، وقفاً عليهم او على تلك القضية بل هو حكم شامل لهم ولغيرهم، كماخرّجه السيد الطاباطبائي في الميزان [1].

وأول ما يتبادر الى الذهن من ورود كلمة الجهل والجاهلية في القرآن الكريم، انها الجهل بالدين وتشريعاته، واتخاذ الهة شتى من دون الله، يتقربون اليهم زلفى، ويظنون انهم يضرون وينفعون، وأنهم قد يكونون شفعاء او وسطاء عند الله !

نعم هذا المعنى هو المتبادر، ولكن قد يعني معاني كثيرة ليس المقصود في هذه الرسالة الوقوف عندها [2].

أفحكم الجاهلية يبغون...؟ استفهام توبيخي لليهود ولغيرهم، هل يريدون العودة الى حكم الجاهلية، وقد انقذ الله العقل البشري من الخضوع لاساطيره ومحادّاته لله، وتحكيم العادات والتقاليد، وما يمليه الشيطان من احكام البيوعات والعلاقات

---

1. ج ٥، ص 155.

2. https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=6438 .

والذبائح والتشريعات القائمة على الهوى والجهل والعصبيات ؟. ثم يعقبه الاستفهام الإنكاري الذي ينفي ان يكون هناك حكم في الكون احسن وأعدل وأنفع من حكم الله الذي شُرع للقوم الذي يعبدون الله بيقين وعلم، و يحكمون بحكم الله بوعي ومسؤولية.

ان الحكم حكمان، اما الحكم الذي لاعلاقة له بالسماء ولا بخالقها، وانما هو من تشريعات البشر وحكم البشر، سواء في العصور القديمة او العصور الحديثة، او فيما يلي من الأزمان والعصور. وقد تختلف ألوان هذا الحكم باختلاف المراحل التي يقطعها الانسان، فقد تكون هذه الأحكام ساذجة وفردية وملتصقة بالعادات والتقاليد وإفرازات العقل البشري في العصور الغابرة، او تكون ذات مظاهر حضارية جميلة قائمة على التشريعات البرلمانية المراعية للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ...، ولكنها تبقى احكاماً من عقل الانسان وتجربة الانسان استغناء عن اي توجيه الهي او أمر الهي، وكأن الانسان قد اصبح الهاً يعرف بما ينفع او يضر.....

او حكم الهي صادر من الله، بما لله من إحاطة بكينونة الانسان وعقله ومشاعره، وبما ينفعه او يضره، بغض النظر عن الأزمان التي صدرت بها هذه الأحكام، لانه عالم بما يشرع، ولا يعجزه نظر في حاضر او ماض لمسيرة البشرية وما ينفعها وما يضرها.

هذه الحقيقة التي لا ينبغي ان تغيب عن عقل مسلم، فضلا عن الدعاة إلى الله وأصحاب الدعوات التغييرية والإصلاحية التي تدعو الانسانية ان تربط مصيرها

بمنهج بارئها وخالقها، وان تكون حياتها بكل تفاصيلها وتشريعاتها خاضعة لهذا المنهج لا تحيد عنه قيد انملة.

أما الحديث عن مدى التزام البشرية بهذا المنهج، ومدى قربها او بعدها عنه، فله مجال آخر، وعلى ضوء هذا القرب او البعد تكون سعادة البشرية او شقاؤها.

رسائل من القرآن الكريم: 96

(وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ) البقرة: 205

ظاهرة الفساد:

الفساد كل ما يطرأ على الأشياء والنفوس فيبطل وظيفتها، فتصبح ضارة بعد ان كانت نافعة. فهويشمل إتلاف الممتلكات وتخريبها، كما يشمل الاعتقاد والتصور، والعمل والأخلاق، كما هو في الادارة وإضاعة المال واشاعة الفاحشة، ومقالات السوء واشاعة الفتن....

ولعل اخطر مواضع الفساد هو فساد الحكم والسلطة، وبلوغ الحاكم درجة الجبروت والطغيان، واستعباد الناس والتصرف في أموالهم وحرياتهم وأعراضهم، وتعبيدهم لغير خالقهم، سواء أكان هذا على مستوى الأفراد او الدول. وهذا ما يلاحظ قديما وحديثا، ولن ينتهي إلا بالقدر الذي يشاء الله إنهاءه.

وهذا هو الذي وقف القرآن الكريم عنده، وقد مرت به البشرية، وابتليت به وكان من العوامل المعطلة لنموها وسلامة مسيرتها باتجاه بارئها وخالقها. والنموذج الذي رسمه القرآن الكريم في هذه الاية يمثل قمة الفساد في الحكم الذي لا يبقي شيئا إلا افسده : النبات والحيوان والإنسان، وصاحبه يمضي بغيه ولا يلتفت إلى ناصح، ولا يعتبر بغيره مما سبقه، وتكاد تطبق عليه غشاوة لا تريه ما حوله، لا

لشيء إلا لأنه يقول فيطاع، والا لأنه يملك الرقاب ومصائر العباد : (وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ)[1].

ويمضي أمثال هذا الحاكم الذي لم يسمه القرآن الكريم سواء كان فردا او دولة إلى اعلى درجات الترف والفساد، ليشكل نقطة السقوط إلى الهاوية، وذلك ما أشار إليه بعض علماء الاجتماع مثل ابن خلدون [2]، وهذا هو الذي وقف عنده كذلك المفكر والفيلسوف السيد محمد باقر الصدر، وسماه الظاهرة الفرعونيّة[3]، ليتجاوز بها حالة تاريخيّة محددة، او شخصا مر به التاريخ، إلى ظاهرة تتكرر في كل زمان ومكان، كلما توفرت الظروف المناسبة لها والمناخ الذي يحتضنها لتمارس فسادها في الارض، ويسجل التاريخ ضحاياها، كما يسجل نهاياتها لتبدأ دورة اخرى، لتشكل سنة من سنن التاريخ، وقانونا من قوانين الاجتماع، إلا إذا حدث ما يخرقه بتوفر ظروف اخرى ومناخ آخر وإرادات إنسانية اخرى، ويكون للغيب وللإرادة العليا السهم الأكبر في الرعاية والانعتاق والانطلاق الى حيث التخلص الأبدي من قيود الظلم والقهر والاستكبار والفساد إيذانا بعودة الإنسان الى بيته الكبير الذي نزل منه إلى الارض....

---

1. البقرة : 206

2. https://www.alukah.net/culture .

3. المدرسة القرآنية، ضمن موسوعة الشهيد الصدر ،ج 19 ، ص 175.

رسائل من القرآن الكريم: 97

(حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ) يوسف: 110

<u>الأمور بخواتيمها:</u>

(قال بعضهم : معناه : حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم وظنوا أن من آمن بهم من قومهم قد كذبوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء عليهم واستبطاء النصر)[1].

يبذل الرسل كل جهد وكل وسيلة لايصال رسالات السماء، ويتعرضون لأنواع من التكذيب والعذاب والاذى حتى يصل الأمر إلى التآمر والقتل ... والرسل لايملكون الا سلاح الوعيد الالهي بنزول العذاب الماحق الأليم، ويطول تحقيق الوعيد في بعض الأحيان مددا طويلة جدا، وتضيق صدور الانبياء، ويزداد المشركون شماتة واستهزاءً، حتى يصل الأمر الى اعتقادهم ان قومهم لم يعودوا يصدقونهم بوقوع العذاب لانه لم يقع في المنظور، فيئسوا من إيمانهم، كما ان قومهم قد اعتقدوا ان لن يقع عذاب !

في هذا الجو المشحون بالاضطراب والحزن : اقوام يكذبون رسلهم ولا يعتقدون بصدق ما يعدون، ورسل يبلغ بهم اليأس من ان يتبعهم قومهم، بل ان بعضا من اولئك الاتباع قد ارتد بعد ان طال امد الوعد و الوعيد...

---

1. سورة يوسف : 110.

في مثل هذه الاجواء الحرجة واللحظات المريرة على قلوب الانبياء، ياتي النصر الخاطف للأنبياء ومن آمن معهم وصدقهم، وياتي كذلك البأس الشديد والعقاب الماحق الأليم للمجرمين الذين أوغلوا في تكذيب الانبياء.

(... جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ) [1] ، تلك سنة الله في الدعوات، لابد من الشدائد ، ولابد من الكروب، حتى لا تبقى بقية من جهد، ولابقية من طاقة (... حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ)[2].

ثم يجيء النصر بعد اليأس ...كي لا يكون النصر رخيصا، فتكون الدعوات هزلا، فلو كان النصر رخيصا لقام في كل يوم دعيّ بدعوة لا تكلفه شيئا، ودعوات الحق لا يجوز ان تكون عبثا ولعبا، فانما هي قواعد للحياة البشرية ومناهج، ينبغي صيانتها وحراستها من الادعياء.

إن الرسل والدعاة الصادقين الواثقين لا يتخلَّون عن دعوة الله،ولو ظنوا ان النصر لا يأتيهم في هذه الحياة ! [3].

وتلك رسالة لحملة الرسالات في الوقت الحاضر وفيما يلي من الأزمان ان يصبروا الصبر كله، ويعانوا المعاناة كلها حتى ياتي نصر الله ولو تأخر...

---

1. https://www.islamweb.net .

2. البقرة : 214.

3. في ظلال القرآن الكريم: مج 4، ص 2036

رسائل من القرآن الكريم: 98

(وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا) النساء: 66

<u>الإسلام دين اليسر ودين المواقف:</u>

دين الله دين السعة واليسر والخير والصلاح، فلا يكلف الله احدا فوق طاقته. (وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ)[1]، وعليه، فان الله لا يأمر بالخروج من الديار، ولا بقتل النفس إلا بما كان من الاسرائيليين لامر استحقوا من اجله ذلك القتل، وهو عبادة العجل بعد ان جاءهم العلم والنبي المرسل موسى (عليه السلام).

ولكن الأسلوب الذي صيغت به الفكرة يحتاج بعض الايضاح. فهو مجرد فرض من خلال (لو) حرف الامتناع لامتناع، اي ان الله لم يأمر المؤمنين بهذا، وهم لم يفعلوه، ولو طلب منهم، فرضا، لما استجاب له إلا القليل منهم، لان فيه مشقة كبيرة جدا. وفي هذا اشارة إلى انه لا عذر للمشركين والمنافقين في عدم الاستجابة لله ولرسوله، مع ما في هذا الدين من يسر وعدم إرهاق [2].

ولكن هذا لا يعني انه لا توجد في الدين أوامر ونواه يحتاج الالتزام بها والإقدام عليها إلى جهد وتضحيات لا يستطيع كل الناس فعلها والتسابق نحوها. وذلك

---

1. الحج : 78

2. التفسير الكاشف، للشيخ محمد جواد مغنية، ج2، ص370.

التفاوت والتسابق نحو العزائم الكبيرة قائم بين البشر، ومعلوم ان الجنة درجات والثواب درجات على ضوء حجم تلك التضحيات والأعمال العظيمة التي لا يقبل عليها إلا ذوو النفوس الكبيرة والايمان العميق .

ان المؤمنين الذين يريدون ان يمحضوا إيمانهم ويختبروا درجة علاقتهم بالله وإخلاصهم له يمكن ان يسألوا انفسهم هذه الاسئلة:

ترى مَن مِنّا لو أُمر بقتل نفسه فعل كما فعل صالحو اليهود من قبل ؟

من منا من يصبر –لو قدر له –على دعوة قومه تسعمائة وخمسين سنة كما فعل نوح ؟

من منا لو أُمر بذبح ابنه العزيز يفعل كما فعل إبراهيم ؟

من منا من يقف وقفة الحسين في عرصات كربلاء وحيدا مكثورا ويقاتل كالاسد الهصور ؟

من منا من يبيت على فراش رسول مطلوب للقتل كما فعل علي ؟

من منا ينتظر اعضاء جسمه تذوب بالتيزاب واحدا واحدا ولم يعط صداماً كلمة واحدة من الاسرار التي استودعت في قلبه، كما فعل عبد الصاحب دخيّل ؟

هذه مجرد اسئلة للتخيل فلا نخف اننا مطلوب منا الان ان نمارسها عمليا ؟

اللهم لا تبتلنا حتى تعلم منا الصبر والثبات !! امين

رسائل من القرآن الكريم: 99

(وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ) لقمان : 22

<u>الإخلاص لله:</u>

(يعبدون)بمعنى يعرفون، ومن عرف الله عبده، فالعبادة بمعنى المعرفة. ومن عبد الله أطاعه، فالعبادة بمعنى الطاعة.

فمن عرف عبد ومن عبد أطاع، ومن عرف وعبد وأطاع سار في طريق الإخلاص الذي يتفاوت في مضماره المخلصون حتى يصيروا (مخلَصين) بفتح اللام بمعنى ان الله استخلصهم لنفسه، ولن يشرك احدا في مرجعيتهم اليه وحده.

(وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ) ([1]).فاذا كانت العبادة معرفة وطاعة ثم إخلاص، فقد بلغ الإنسان غاية الكمال،وحقق مراد الله سبحانه من خلقه، وضمن مصيره اليه.

(ومن يسلم وجهه إلى الله): إسلام الوجه الى الله هو الإقبال عليه بكليّته، فليس له التفات إلى غيره، ومن كان هذا توجهه فقد أَلِهَ قلبه وتعلق بمن توجه اليه فصار لا يعرف في الوجود غيرهفي قوته وسلطانه.

---

[1]. الذاريات : 56.

(وهو محسن): كمال العمل في شكله ونيته ومشروعيته، فهو يقبل على الله نية وهيئة وعملا، على غير من يدعي انه مؤمن بالله ولكن دونما عمل يرفعه، ولا طاعة تقربه، وانما هو يتمنى على الله الأماني.

(فقد استمسك بالعروة الوثقى): نعم، ان النتائج من جنس المقدمات،فمن اسلم وجهه، وخضع قلبه ودانت جوارحه بالأعمال الصالحة،فانه كمن استمسك بعروة قوية لا تنفصم فهي ملاذه من كل خطر او خوف،وكان الفوز والنجاح والنجاة مآله. وهل غير الإسلام عروة وحبلا وسفينة توصل الإنسان الى الله حيث اللقاء الأبدي والنعيم الدائم والجنة الدائمة.

قد يرد على القلب خاطر : ترى من هذا الإنسان –من غير الانبياء والمعصومين – الذي عبر شاطئ الحياة، وبقي ثوبه ابيض نقيا دونما ان يعلق به شيء من درن ، او شيء سوء تصور، او خلط بين النيات الخالصة شيء من متعلقات الدنيا وشيئياتها وطموحاتها ورغباتها ؟

خاطر صعب ! قد لا ينجو منه قلب !

ولعل مخرجه عند رسول الله (صلى الله عليه واله) حين قال:(اللهم اني استتغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطني فيه ما ليس لك)!

فاذا كان نبي الله خاتم الانبياء يستغفر ربه بهذا الدعاء، فما حالنا نحن الذين خالطنا الكثيرمما هو لذواتنا دونما قصد ابتداء، وانما هو هذا مبلغ طاقتنا، وما

امتلكناه من انفسنا، فما لنا من شفيع يحمل عنا ذلك غير محمد (صلى الله عليه واله)!

والله يعلم سرنا ونجوانا،وظاهرنا وباطننا، حسبنا ان يرضى عن إقبال وجوهنا عليه بما نملك من استعدادات، وبما تفضل علينا من قبول شفاعة نبيه فينا [1].

[1]. ينظر تفسير الشيخ الشعراوي، رحمه الله: https://www.youtube.com

رسائل من القرآن الكريم: 100

(خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ)

(هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ)

(يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ)

(وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ)

(مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ)

سورة لقمان : الايات 10,11,16,27, 28

<u>عظمة الله وقدرته:</u>

الحديث عن عظمة الله وقدرته ونعمه ورحمته يطول، ولكننا اردنا ان نختم هذه الرسائل باشارة إلى بعضها في سورة لقمان ، علما ان الموضوعات الكبرى في القرآن الكريم الكريم تدور حول التوحيد وبيان صفات الله وذكر نعمه وآلائه، حتى

ان لفظ الجلالة (الله) هو الكلمة التي تنعقد عليها ألفاظ القرآن الكريم الاخرى كلها [1].

وهذا القرآن الكريم كلمات الله يخاطب بها الناس الذين تفضل عليهم بالخلق ومنّ عليهم بنعمه ظاهرة وباطنة، وخلق لهم ما في الارض جميعا، ويسّر لهم العيش فيها، ثم ارسل اليهم الرسل كي لا يتفرقوا، وتضل بهم السبل، وبسط لهم الحديث عن مظاهر عظمته وقدرته ليدعوهم إلى معرفة ذاته وشكر نعمائه، حديثا يخاطب عقولهم ووجدانهم بتصريف من القول وأساليب شتى من البلاغة حتى لا يدع لهم مجالا لان يقولوا : ربنا ما دللتنا على ذاتك، وما ارسلت الينا رسلا يهدوننا إلى شريعتك، ولا أغريتنا بجنتك، ولا حذرتنا من عقابك...

كل ذلك مجاب عليه في ايات هذا القرآن الكريم وسوره، ولعل اكثرها تفصيلا، كما اشرنا، هو الحديث عن مقاصد ارسال هذا القرآن الكريم والتي من أعظمها الحديث عن الذات الالهية وعظمتها ونعمتها .

انظر الى سورة لقمان هذه، على قصرها، كيف تحتشد بذكر ايات الله وآلائه : من خلق السموات إلى ارساء الجبال وخلق الكائنات الحية كلها، ثم انزال الماء لتمرع الارض بما يديم حياة الانسان...

---

1. انظر الرسالة رقم 40 من هذه الرسائل.

ويعقب ذلك بقوله: (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه)، اشارة إلى انه ما من خالق لهذا الوجود مما ترون وما لا ترون غير الله.

ومن عظيم قدرته وإحاطته بما خلق انه لا يغيب عن علمه شيء في هذا الكون حتى ولو كان مثقال حبة من خردل في السماوات اوالأرض، ولا ادنى من ذلك ولا أكبر إلا هو محيط به، مسجل عنده في كتاب لا يغيب عنه شيء ... ولن تستطيع بحار الارض حبرا، ولا اغصان الشجر أقلاما ان تحصي أبعاد هذه القدرة ونعمها.

فيا ايها الإنسان : (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ. ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ....)[1].

ومع هذا الفضل كله، والنعم كلها ، ترى الانسان يمضي سادرا في البعد عن ربه وخالقه والمنعم عليه، لا يقدره حق قدره , ولا يدين بفضله، ولا يطيع اوامره، ولا ينهج نهجه فيما يشرع ويحكم : (قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ)[2]!!

ويبقى هذا هو الطابع العام للإنسان، مع وجود من ينسجم مع فطرة الله التي فطره عليها في هذا الجزء من الارض او ذاك، ويبقى الصراع بين الجبهتين:

جبهة التوحيد وجبهة الشرك، جبهة الإسلام وجبهة الجاهلية بكل مسمياتها القديمة والحديثة الى ان يحقق الله وعده في اقامة عدله قبل ان يرث الارض ومن عليها.

---

1. الانفطار : 6-7.
2. عبس : 17.

رسائل من القرآن الكريم:101

(وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ) الأعراف : 148

<u>حين يكون ذهبك وبالا عليك:</u>

الم تجرب يوما انك ادخرت شيئا عزيزا وثمينا لامر اعز منه، او لظرف يحل بك فتحضر ذلك الشيء الذي ادخرته ليوم الضيق ؟ اجل يحدث مثل هذا.

ولكن هل جربت يوما ان الذي ادخرته ليوم الضيق لا يفرج عنك بل يجعلك اشد ضيقا ومحنة وخسارة ؟

ذلك هو الذهب الذي ادخره اليهود ليكون عليهم وبالا وحزنا، اذ صنعوا منه عجلا الها من دون الله ! اهكذا تكون المدخرات عذابا وسوء عاقبة ؟ بينما كان يمكن ان تكون منقذا وعونا على الحياة!!

فادخر ما هو عزيز عليك لتربح به اضعافا ان كنت تاجرا حصيفا ، ولا تدخره ليكون خسارة وعذابا وحزنا !!

رسائل من القرآن الكريم: 102

(ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ) ال عمران :102

<u>من طبائع اليهود:</u>

اولئك بنو اسرائيل لازمتهم الذلة وكأنها لون بشرتهم، واصبحت فيهم ظاهرة كظهور الختم المضروب او الوشم المحفور، ولم تخفف عنهم هذه المذلة والهوان الا بالتحالف مع من يحميهم (الا بحبل من الله او بحبل من الناس)، وما قوتهم اليوم بذاتية، بل معتمدة على امريكا، ولو خُلِّيَ بينهم وبين المسلمين لما استطاعوا ان يواجهوا المسلمين (لا يقاتلونكم الا في قرى محصنة او من وراء جدر)، وفوق الذلة لازمتهم المسكنة فاظهروا الفقر، وكانوا يفعلون ذلك حين فرضت عليهم الجزية، فهم يتمسكنون كي يُعفوا عنها او يدفعوا اقلها!

وكانت تلك الذلة والمسكنة عقوبة لهم لكفرهم وعصيانهم وقتلهم الانبياء بغير الحق.

رسائل من القرآن الكريم: 103

(وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا) الأعراف : 168

أشتات بني اسرائيل:

فرق الله بني اسرائيل فى اماكن متعددة وفي قارات الارض كلها، لا وطن يجمعهم ولا دولة تحفظهم، وذلك بما عصوا وكفروا وكذبوا وكانوا يعتدون، فلم يشكروا الله على النعم التي من بها عليهم، واعظمها نعمة تحريرهم من العبودية لفرعون، ونجاتهم من تقتيله لهم وظلمه.

وهناك اشارة للشيخ الشعراوي جديرة بالتامل، وذلك في تفسير قوله تعالى: (وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض).

قال (الارض) ولم يحدد ارضا معينة وانما قطعهم في الارض جماعات جماعات وهو تفسير لقوله (وقطعناهم في الارض اما).

وجاءت الصهيونية متحالفة مع الدول الاوربية لاجتماع مصالحهم وعدائهم للمسلمين، لتقيم لهم وطنا واحدا في فلسطين، وما دروا ان تجمعهم هذا سيكون نهاية لهم على ايدي المؤمنين.

ولا يغرنك قوتهم وتحالفهم مع الاستكبار العالمي، فان وعد الله حق وانه ناصر المؤمنين، وهو اعلم بتوقيت ذلك حسب سننه في التدافع بين البشر.

رسائل من القرآن الكريم: 104

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ. وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ) الأنفال: 65

<u>الذنب ذنبان:</u>

ظاهر الامر ان انسانا مؤمنا مجاهدا مرت به حالة ضعف وانهزم في المعركة فهل يستحق: (فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ؟)

اجل، لان العمل ينظر اليه باثره وانعكاسه على الجماعة المؤمنة، والانهزام في المعركة يضعف صف المؤمنين وقد يجعلهم يخسرون المعركة، فيتمكن منهم العدو، ويقطع شأفة دينهم.

اما اذا كان الذنب فرديا ولم يكن له انعكاس سلبي على وضع الامة، فمهما عظم فان رحمة الله واسعة، وان الله تواب رحيم.

فتنبه الى خطورة العمل الذي يضعف الامة ويهدد وحدتها ودينها ورسالتها.

رسائل من القرآن الكريم: 105

(وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ) الأنفال: 7

<u>خياران:</u>

في معركة بدر كان امام المسلمين بقيادة النبي (صلى الله عليه واله) خياران (العير) اي قافلة ابي سفيان بما فيها من غنائم ومن دون قتال، او(النفير) اي قتال المشركين الذي اقبلوا لقتال المسلمين. فكانت رغبة بعض المسلمين في (العير) وهو وهو عدم القتال.

(ويريد الله ان يحق الحق بكلماته) بامره اياكم باختيار ذات الشوكة والقتال، ففيه تحقيق لوعد الله بالنصر، وخضد شوكة الكفار، وقطع دابرهم.

ان اختيار (كلمات الله) في الجهاد هو السبيل لاحقاق الحق وخذلان الباطل والشرك، اما اختيار غير (كلمات الله) والركون الى الدعة في الدنيا ومماألأة الكفار والخوف منهم فهو الوهن، وهو الذل والخذلان، فضلا عن التحالف مع الكفار ونصرتهم على المسلمين فذلك هو الخسران المبين، وذلك هو السبيل الى الكفر نفسه!! وهذا ما نراه اليوم في مواقف بعض حكام العرب والمسلمين.

رسائل من القرآن الكريم: 106

(وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ) البقرة: 30

<u>اول سؤال للملائكة:</u>

لقد اعلم الله –سبحانه – الملائكة بطبيعة هذا الكائن الجديد ووظيفته وبصفاته الكثيرة ولم يتساءلوا عن شيء من هذه الطبيعة والوظيفة والخصائص، تساؤلهم عن خصيصة الفساد وسفك الدماء ؟ وهل هناك اعظم من هذه الخصيصة التي استفزت الملائكة وهم الذين جبلوا على الخير ؟ .

ان سفك الدماء الذي هو جزء من الفساد لهو اعظم ما يسيء الى الحياة ويشوه صورتها ويقتلها هو الذي اثار استغراب الملائكة، ولكن حكمة الله شاءت ان تمتحن هذا الكائن، وتجعله قادرا على ان يفعل الخير بنفس القدرة على فعل الشر لينيله جزاءه ان خيرا او شرا.

لقد شاءت حكمته –تعالى – ان يجعل الحياة معرضا للاضداد وللتنافس ليكون اينا الاقدر على اشاعة الجمال والخير واينا الذي يسفك الدماء ويشيع الفساد!!

و (ليقضي الله امرا كان مفعولا).

رسائل من القرآن الكريم: 107

(كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ.

يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ)
الأنفال:107

طاعة الرسول القائد:

كما كره بعض المؤمنين تقسيم الرسول (صلى الله عليه واله) للانفال، ولم يعلموا وجه الحكمة في ذلك، كذلك هم كرهوا الخروج مع الرسول لمواجهة قريش في معركة بدر، وما علموا ان في ذلك نصرا مؤزرا للاسلام، وكسرا لشوكة الشرك والمشركين وفي هذا اشارة الى ان مصلحة الاسلام لا تنحصر في موقف فئة قلية لا ترى الا ظواهر الامور، ولا تفكر الا في مصالحها والمحافظة على ذاتها.

ان الحياة قائمة على التراتبية في الطاعة، خاصة اذا كانت القيادة نبوية او حكيمة، فلا ينبغي ان يوهن الجمع المؤمن براي هذه الفئة القليلة الضعيفة او تلك ولو كانت مؤمنة.

رسائل من القرآن الكريم: 108

(ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ) ال عمران: 17.

(فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ ...) ال عمران: 195

<u>الجزاء العظيم للعمل العظيم:</u>

هذه الصفات العليا والاعمال الكبيرة والتضحيات العظيمة هي التي تستحق هذا الجزاء (لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ)

فلا اظن ان احدا منا يحدث نفسه بان له نصيبا من هذا الثواب والجزاء الاوفى، مالم يكن له نصيب من هذه الصفات العليا والاعمال الكبيرة والتضحيات العظيمة.

ومن لم يكن له نصيب فلينوِ، وليحاول، وليروض نفسه، وليعمل، وليرجُ، وليسأل ربه ان يهيىء له ذلك النصيب، او جزءا منه. فعن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه، قال: إذا تقرب العبد إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإذا تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا والله (يستعمل) من يشاء، ويهدي لنوره من يشاء، بمعنى ان يهيئ للعبد عملا من هذه الأعمال يدخله الجنة.

رسائل من القرآن الكريم: 109

(تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ) الأنفال : 67

عرض الدنيا:

من معاني (العَرَض): الحطام من المال، وهو المتاع، وهو الامر العارض السريع، والسحاب المار بسرعة (عارض ممطرنا)، وهو الامر السانح ، وهو الخاطر يمر ويمضي. وهذه المعاني كلها تشير الى ضآلة هذا (العَرَض) وحقارته وزواله.

واذا اضيف هذا (العَرَض) الى الدنيا صار الادنى الى جوار الدنيا التي هي مؤنث الادنى، وهو منتهى الدنو، كما ان الاعلى هو منتهى العلو . وتكفي الاشارة الى ان هذا العرض هو المال الذي كان يتسلمه عبد الله بن ابي من اكراهه جواريه على الزنا (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء)!!

ذلك هو (عرَض) الدنيا الذي فضله بعض الصحابة على نعيم الاخرة الذي يريده الله، وذلك حين فضلوا اخذ الفدية من اسرى بدر. هذا المال (العَرَض) الذي لايعد شيئا عن الله، ولكنه يعني كل شيء عند الانسان !. واذا كان بعض رجال ذلك الجيل يميلون الى هذا (العَرَض)، فكم هو حجم ميلنا اليه ورغبتنا فيه ؟؟

رسائل من القرآن الكريم: 110

(إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ)
الفرقان: 70

ما بعد التوبة :

في القرآن الكريم كله (امن وعمل صالحا) الا في هذه الاية من سورة الفرقان (امن وعمل عملا صالحا).

ذلك لان هذا الاستثناء بقبول التوبة وابدال السيئات حسنات يكون بعد القيام باعمال كبيرة شنيعة مثل الشرك والقتل والزنا (وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا)، انما يكون بعد عمل صالح مؤكد تاكيدا نوعيا (عمل عملا صالحا).

اما ما ورد من قوله تعالى (عملا صالحا) من دون توكيد اضافة (عملا)، فانما يكون اشارة الى الاعمال الاقل خطرا، او انها اشارة الى اصحاب العمل وليس الى العمل نفسه.

فليضاعف احدنا عمله بعد التوبة، خاصة اذا كان ذنبه عظيما ليبدل الله اعماله السيئة حسنات وذلك مالا يفعله الا الكريم الذي يحب التوبة من عباده.

رسائل من القرآن الكريم: 111

(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ للتقوى) المائدة: 8

العدالة والعداوة :

أي ولا تحملكم عداوةُ قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة.

والملاحظ في حياتنا ان احدنا اذا كان بينه وبين احد من الناس عداوة او بغضاء، تراه يجانب كل المعايير الخلقية فيظلمه ويفتري عليه، ولا يبقي عائبة الا ويلصقها به، بينما النّصَف والعدل والقسط يقتضي ان لا تكون تلك العداوة سببا لاخراج ذلك الانسان من الانسانية، وسلبه كل ما فيه من خير. والمقياس هو : هل ترضى من عدوك ان ينسب لك كل سوء، ويجردك من كل القيم والحسنات؟

والحق سبحانه يمتحننا في هذا الجو المشحون بالعداوة ويدعونا الى العدل في التقييم، وتلك هي التقوى الحقيقية والخشية الحقيقية من الله.

رسائل من القرآن الكريم: 112

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ) البقرة: 170

الغاء العقل:

هؤلاء لم يستخدموا عقولهم وهي التي ميزتهم عن غيرهم من الكائنات. ولقد قيل في تعريف الشخصية انها الانسان الذي يستخدم عقله، ويوظفه للخير، لان الشيطان يستخدم (عقله) ويوظفه للشر، والحيوان لا يستخدم عقله، بل يسعى وراء غرائزه.

فالشخصية هي التي ترتفع الى مستوى الانسان. وهنا ياتي دور الدين، ليرفع الشخص الى مستوى الانسان الذي يستخدم عقله، وحين ذلك يرتفع الى مستوى خليفة الله، وليتناغم مع حركة الكون (ومن اياته يريكم البرق خوفا وطما، وينزل من السماء ماء فيحيي الارض بعد موتها افلا تعقلون).

فالدين نعمة لانه يرتفع بالبشرية الى مستوى الانسانية، وذلك حين يوظف الانسان عقله للخير وبناء حياة جميلة خالية من الظلم والجهل.

والانسان الذي يقلد اباءه على جهلهم فقد فقد عقله وبالتالي فقد شخصيته.

رسائل من القرآن الكريم: 113

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا) النساء: 1

<u>رحم البشرية :</u>

(والارحام) ربما يتبادر الى الذهن مباشرة انهم ارحام الانسان من ام واب واخ، ولكن بقليل من التامل نلتفت الى ان المقصود بها البشرية كلها، بدليل سياق الاية نفسها (يا ايها الناس) الناس جميعا، بالاضافة الى الاشارة باننا جميعا من نفس واحدة. وهذا لا يمنع من شمول الارحام من الدائرة الضيقة بالرعاية والاولوية وبمعنى (الذي تساءلون به).

والتساؤل، في النهاية، سيعم الدائرة الصغيرة والكبيرة على سواء.

ومن يتعامل مع القران الكريم بهذا الافق، يتعامل مع البشرية كلها اسودها وابيضها، مسلمها وغير مسلمها على انهم اخوة له في الانسانية، وهذا الفهم هو ما يفيده قول امير المؤمنين (اما اخ لك في الدين او شبيه لك في الخلق) ! وهذا يلغي كل اشكال العنصرية والتمايز بين البشر على مقاييس اللون او الجنس، وهو ماسبق اليه الاسلام في التعامل مع الاخر.

رسائل من القرآن الكريم: 114

(ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ) هود: 19

سبيل الله:

(سبيل الله) طريقة الله الهادية المستقيمة التي لا عوج فيها والتي ارسل الله رسله للتبليغ بها، وجعلها بينة واضحة للناس. هذه السبيل لاتروق للكافرين والظالمين الذين يحادّون الله وسبيله ومنهجه، فلا يكتفون بسبيلهم المنحرفة المعوجة الشاذة، بل يعمدون إلى العمل على ان تكون (سبيل الله) معوجة مثل سبيلهم، حقدا منهم وصدا لـ(سبيل الله) ان تسود في الأرض وبين الناس.

انه أسلوب الغرماء والأعداء الذين يغارون من اعدائهم فيعمدون الى محاربة مناهجهم ويجعلونها معوجة مشوهة حتى لا يقبل عليها الناس.

ان خصوم الإسلام لا ينفكون عن محاربة الإسلام من خلال تشويه معتقداته، وصرف الناس عنه، وتصويره بصور تكرّه الناس له، بأساليب نفسية وفنية من خلال أدوات التصوير والإعلام ليكون الدين علما للتخلف والرجعية في نظر الناس. فحين يسود التعامل الربوي، وحين يسود فساد المرأة والرجل، وحين يكون كل شيء في حياة المسلمين معوجا وخلاف الفطرة والدين، يستقر بال المشركين وخصوم الدين، لأنهم بهذا يجعلون (سبيل الله) معوجة مثل سبيلهم المعوجة (يبغونها عوجا) الا ساء ما يمكرون!

رسائل من القرآن الكريم: 115

(وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا) الإنسان: 8

الفعل الكبير :

فعل واحد، (ويطعمون الطعام..) يجزيهم ربهم عليه جنة وحريرا، ويجعل لهم نضرة وسرورا، (ويطاف عليهم بانية من فضة وأكواب كانت قواريرا)، (ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا)، (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) ووو... هل كل ذلك لانهم اطعموا الطعام ؟

بل لان العمل كان كبيرا اولا، ولانه كان لوجه الله وليس لوجه احد، ولا يرتجى منه جاه ولا منفعة!!

ارأيت كيف تكون ثمار الاعمال الخالصة لله حقا ؟!

ارأيت كيف تكتسب الرمزية والقدوة وتتحدث عنك الأزمان ؟ نعم عندما تعمل عملا لا يستطيع غيرك ان يعمله!

من يفعل هذا ؟ ثلاث ليال صائمات بطولهن وحرهن، تعطي زادهن، لمسكين ويتيم واسير، وتترك زوجك وأطفالك دونما طعام ؟

لا يفعل ذلك إلا المصطفون الابرار مثل (علي)، ولذلك كان الرمز والنموذج والإمام!

رسائل من القرآن الكريم: 116

(هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ 1، وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ 2، عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ 3) سورة الغاشية 1-3

<u>عمل من نوع آخر:</u>

التي تغشى الناس بأهوالها، وتكون فيها وجوه الكافرين اذلة ناكسة، وهم يعملون الأعمال الشاقة في النار بجر السلاسل الثقال، وحمل الأثقال، والوقوف حفاة عراة في أرض المحشر ، فلا اعمل ولا انصب من عمل ونصب اهل النار!

فكما كانوا يعملون وينصبون في عمل المعاصي في الدنيا، فتراهم يبذلون قصارى جهودكم في الكسب الحرام، ويعملون بجد لصد الناس عن الإسلام، ويخلصون في مودة الكافرين، ويعملون ليل نهار في المعاصي إلى درجة التعب والنصب الشديدين، فأعملهم الله في الآخرة في تلك الأعمال الشاقة والنصب الدائم، (لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها)

واحدة بواحدة!! فكيف تدين تدان (اعملوا ماشئتم انه بما تعملون بصي)

فيامن تعملون في المعاصي عملا لايفتر في الدنيا، هلا فكرتم قليلا انكم ستعملون كذلك اعمالاً شاقة في الآخرة جزاء لعملكم الشاق في الدنيا لغير الله!!

رسائل من القرآن الكريم: 117

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ) البينة 7

سؤال :

يلاحظ ان كثيرا من المسلمين يؤمنون بالله ويعملون الصالحات فهل يكونون من خير البرية ؟

يبدو – والله اعلم – ان خير البرية وراءها امور اكثر من عمل الصالحات من صلاة وصوم وحج وزكاة، لان كثيرا من المسلمين يؤدونها.

لا نريد الدخول في حوار عن (خير البرية) من الأشخاص أو والجماعات، وانما نريد الإشارة إلى طبيعة هذا (الإيمان) الذي يجعل صاحبه من خير البرية وطبيعة هذه (الصالحات) التي تجعل صاحبها من خير البرية.

يبدو – والله اعلم – ان خير البرية هم أفراد متميزون او جماعات متميزة، لا يكتفون بالعبادات المعهودة وان كانت بذاتها عظيمة وجليلة، وانما هم اولئك الذين امنوا ايمان عميقا، وأدوا هذه العبادات اداء عاليا على غير ما هو معهود من ادائنا نحن لهذه العبادات، بل هم اولئك الذين وصفوا في القران الكريم أوصافا فوق الأوصاف الأولية التي يتصف بها المسلم، وادعوك ان ان تتأمل فيها، وهي من مثل: (ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ)

ومن مثل : (فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تحتها الانهار)

ولك، بعد هذا، ان تبحث عن المصاديق من الرجال والنساء لتدرجهم تحت عنوان: (خير البرية)، اما ان تساوي في الدرجات بين جميع (الذين امنوا وعملوا الصالحات) فلا يستقيم الفهم، لا سيما ان (خير) هي بمعنى (افعل) اي افضل البرية، والأفضل متميز.

ولعل من افضل المصاديق لـ(خير البرية) ما يجسده حديث النبي (صلى الله عليه واله) عن الامام علي والصفوة من شيعته.

رسائل من القرآن الكريم: 118

(قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ العين. وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ) آل عمران: 13

<u>مصداق التحدي:</u>

عندما تواجه عدوا ضعف عدد جنودك (مثليهم)، وأكثر منك سلاحا وعُدة، واكثر منك اموالاً وامكانات، ولديه من الاعلام أضعاف ماعندك حتى ليخيل للناس انه ربح المعركة قبل ان تبدأ...

هنا يشتغل عندك التحدي، هنا تشعر انك لا بد ان تملك (مثليهم) من العدد والعُدد وكل ما تحتاجه المعركة ! وأنّى لك ذلك ؟ هنا يشتغل القلب، وهنا تشتغل الارادة التي تستمد القوة المتكافئة من الذات اولا ثم من قوة خارجية أقوى من (مثليهم) واكثر من (مثليهم).

انها (والله يؤيد بنصره من يشاء)

وبهذا تفسر انتصارات القلة على الكثرة (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)

وهناك اشارة نستوحيها من الاية التي بعد هذه الاية مباشرة (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ...)

فحين تكون مقبلا على الشهوات يوكل الامر اليك وحدك، والى قوتك، ولن تكون بعدذلك إلا ضعيفا، ولن تكون تقوى على قوة مثل قوتك عددا وعدة، فضلا عن ان تقاتل (مثْلَي) قوتك، وستبقى دونما سند خارجي، وربما تخسر المعركة او تربحها، ولكنك لن تربح معركة عددك وعدتك فيها اقل من خصمك.

ذلك فعل الإقبال على الدنيا بترفها وشهواتها، وذلك من أمارات سقوط الحضارات.

(إن في ذلك لعبرة لأولي الابصار).

رسائل من القرآن الكريم: 119

(وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) الحشر : 9

<u>إيثار مع حاجة شديدة :</u>

تفضّل غيرك على نفسك!

لا سيما إذا كنت في حاجة ماسة.

تعطيه طعاما وانت في امس الحاجة اليه، وتعطيه فراشا او كسوة وانت بحاجة اليها، وتعطيه مالا وانت بحاجة اليه، ذلك هو الكبريت الأحمر النادر ! واولئك هم القلة من الرجال والنساء، وأولئك هم الذين وصفوا بكتاب الله اولئك الذين لا يرعف بهم الزمان في كل حين !

نعم تجد من ينفق الطعام والكسوة والمال وهو متوفر عنده، وهو مأجور عليه يقينا، ولكن الذي يعطي وهو في (خصاصة)، فذلك الذي نقصده من الكبريت الأحمر، وذلك هو قاتل الوحش الذي يكمن صدره :

الشح، الشح الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق، ولا منجى منه ولا خلاص إلا بأن ترى بأن ما تعطيه سيعود اليك أضعافا مضاعفة، يقينا، وراي العين والقلب ! وذلك الذي لا نجده إلا قليلا، بل لانجد من ينفق وهو يملك إلا قليلا.

وهذه سنة من السنن النفسية في هذا الكائن الذي اسمه (الإنسان)!

رسائل من القرآن الكريم: 120

(وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فخورا) النساء: 36

<u>علاقة التأثير :</u>

هذه رسائل في الحقوق، فحق الله ان تعبده حق عبادته، ولا تشرك به شيئا، وحق الوالدين ان تبرهما، وحق الأرحام ان تصلهما، وحق اليتامى والمساكين ان ترعاهما وتنفق عليهما مما آتاك الله من فضله...

ولكن ما هي وصية الله سبحانه بالجار من غير أرحامك قرب او بعد، والصديق الذي في عملك او او دراستك او في سفرك، وقد يكون كل اولئك أغنياء ولاحاجة لهم عندك ؟

انها رسالة التبليغ والهداية وحمل رسالة الاسلام ! فما فائدة صحبة بلا اثر، وما فائدة عشرة دونما ان تمنح لصاحبك من عطرك، وكلمتك وأثر من خلقك وسلوكك؟

ان هذا العطاء والأثر لهو اكثر فائدة من الفائدة المادية التي تبديها لجارك او صديقك. ان الحياة لا تستقيم بالشيئيات وحدها، على أهميتها، وانما الإحسان كل الإحسان بان يكون لك الاثر بمن تصاحب قريبا او بعيدا، زوجة او ابناً او جارا او صديقا، فلكل واحد له حق عليك فاعرف اي حق تؤدي، وأي حق تضيع !

ان كثيرا منا يجاور ويعاشر ويصادق دونما ان تكون له رسالة يؤديها مباشرة كانت او غير مباشرة، ولم يُتبع عطاءه المادي بعطاء معنوي، وان كان العطاء المادي بذاته يؤدي بعض تلك الرسالة ويوحي بها.

رسائل من القرآن الكريم: 121

(قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِين) الأعراف: 12

<u>نوع الإجابة:</u>

ان اجابتك تحدد مصيرك، وتحدد موقفك ومسار حياتك في القضايا الرئيسة خاصة. فقد هلك ابليس بهذه الإجابة التي حددت مسار حياته ومصيره.

(قال أنا خير منه..)، بينما آدم وزوجه (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)، فكان ان غفر لهما، وكانت نهاية حياتهما الجنة!

ومن بعدهما اجابة عيسى ابن مريم لربه (وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ) المائدة: 116. ومن بعدهما كانت اجابات الانبياء الآخرين.

فاعرف كيف تجيب عن الاسئلة الكبرى التي تحدد مسار حياتك، ونهاية حياتك!

ثم ان الداعية إلى الله لابد ا ن يجيد فن السؤال كما يجيد فن الجواب، فضلا عن دقة مضمونيها.

انـه سيحاور اخـرين، ويستهدفهم إلـى الهدايـة، فعليـه ان يعـرف المـداخل إلـى قلوبهما، فلرب سؤال ينفّر القلب، ولرب جواب اكثر تنفيرا ! فكما ان في التدريس فن للسؤال وفن للجواب، كذلك في الدعوة إلى الله فن في صياغة السؤال وفن في صياغة الجواب، ان الداعية الذي وهب نفسه لله ودينه يعرف كيف يسوق أفكاره، ويعرف كيف يختار أساليبه.

رسائل من القرآن الكريم: 122

(حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ) يوسف : 110

الفرج بعد قمة الشدة:

الشدائد طريق الدعوات الحقة، غير ان الشدة لا تدوم وان طالت، فاذا يئس الناس من كل الأسباب الظاهرة التي يتعلقون بها، جاءهم نصر الله.

ان النصر لن يشرق من افاق الرخاء، بل سيبزغ نوره من ظلمات البلاء، فدعوات الانبياء لم تنتصر إلا بعد مقاساة الشدة، وتطاول المدة.

يبذل الرسل منتهى الجهد في التبليغ، ولم يتركوا وسيلة إلا ركبوها، ولا لحظة من الزمن إلا بلغوا بها، حتى يبلغ بهم الحال الى الاعتقاد ان المخاطبين لم يتقبلوا دعوتهم أبدا، بل يبلغ الحال بالناس ان يعتقدوا بان اولئك الرسل يكذبون عليهم فيما يروون عن ربهم من وعد ووعيد، وعندما يصل الأمر إلى هذه الدرجة ، ياتي النصر، ويصدق وعد الله.

هذا هو هو القانون الالهي، يبذل الانسان أقصى ما يستطيع من الجهد، ويواجه العناء والمشقة، ثم ينتظر عطاء ربه وفرجه ورحمته.

رسائل من القرآن الكريم: 123

(وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ) الأعراف: 138

المقدمات والنتائج :

اي نفوس تلك التي تطلب من نبي التوحيد الإشراكَ بالله العزيز الحميد، وهي ما زالت خارجة من نعمة الإنجاء من الذل والغرق ؟

الجهل داء قاتل، وعدو صائل، قد يصول على توحيد المرء فيجرحه، وعلى عمله فيفسده، ولا نجاة من ذلك إلا بالعلم النافع، فعلى الداعية :

أولاً : ان يتفرس في تصرفات الذين يدعوهم إلى الهدى، ويعرف المقدمات التي تقود الى الخواتيم، فبما انهم، وهم مع موسى، طلبوا ان يجعل لهم الها كما للقوم الذين مروا عليهم الهة، وقيل ان أصنامهم كانت من بقر، فلا عجب ان يتوجهوا إلى عبادة العجل الذي صنعه السامري لهم، وهم مع هارون الذي استخلفه موسى عليهم!!

فتلك المقدمات قادت الى هذه النتائج. فيجب ان يدرس الداعية مقدمات الأعمال التي تقود إلى النتائج الحسنة او السيئة.

ثانياً : على الداعية ان يصبر على انحرافات الذين يدعوهم، فيقومها بالحسنى، ويعالجها بالحكمة، وان يوطن نفسه على المفاجآت والانتكاسات التي تحدث من بعض من دعا.

انه يتعامل مع النفس الإنسانية التي قد لا يثبت فيها الايمان، كما لايثبت فيها الكفر، وان القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء، وان الأمور بيد الله يصرفها كيف يشاء، سبحانه.

رسائل من القرآن الكريم: 124

(وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ) الأنفال: 39

حين لا نقاتل:

حين يتغلب الكفر وممثلوه الحاقدون على التوحيد واتباعه، لا يذرون شيئا في الحياة إلا ويلوّنونه بألوان الكفر، بما في ذلك الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، وبذلك تكون الفتنة.

وحين يتغلب الكفر يدخل على حياتك العامة والخاصة، فلا يكون لك من الأمر شيء، ولم تسلم حتى على عبادك وحريتك، نعم يسلب منك كل شيء...

وحين لا نقاتل بادوات القتال كلها تصب علينا الفتن صبا، نصبح ونحن خائفون على انفسنا وعلى عيالنا وعلى أموالنا، فكل مقدراتنا بيد اعدائنا حتى انفاسنا تحصى علينا، ومن لا يدخل الربق ، ومن لايكن مع القطيع تجدع إذنه، او يقطع لسانه او يعلق مكتوف الأيدي، او توجه اليه الكلاب البوليسية، او يلقى في احواض التيزاب !!

ثم ان الفساد المبرمج يهجم علينا في بيوتنا من خلال الاعلام الذي يستهدف كل محتوانا الاخلاقي، ويشوه ماضينا ويمسخ حاضرنا بادوات من التمويه والكذب دقيقة وماكرة.

كل ذلك وغيره، لاننا لم ندفع عن انفسنا الظلم، ولم نقاتل فكانت هذه الفتن وليس الفتنة الواحدة. وذلك قانون من قوانين الله، وسنة من سنن الله.

وحين لا نقاتل لا يكون الدين كله لله، ولا بعضه، الحياة كلها ستكون ملونة بألوان غيرك، وحين يكون الدين كله لله ، يكون لك وجود فتلون الحياة بلون منهجك.

وحين لا تقاتل تكون مخذولا مسلوب الارادة والوجود، وليس لك نصيب من الحياة إلا التنفس ان تركوه لك !

الخاتمة :

اخي القارئ الكريم :

ها أنت قد فرغت من قراءة هذه الرسائل، باستطاعتك أن تصف مقدار تفاعلك معها، وإحساسك بأنّك أمام خطاب ربّاني موجَّهٍ إليك يشُدك إليه / ويحنو عليك، ويرسم لك طريق سعادتك، ويُزيل همومك، ويعطيك الضوء الذي تستنير به، والسلاح الذي تقاتل به، ويوسّع أفقَكَ الى أوسع من هذا العالم الذي تعيش فيه..

أنت الان تشعر أنكَ أنت المقصود بهذه الرسائل، وليس أقواماً سابقين نزلت بهم هذه الآيات، وأنت من الان، أصبحتْ لديك رسالة من هذه (الرسائل).. رسالة بناء الذات والاخر، وتوظيف الذات والاخر باتجاه العبودية للخالق البارئ المصور، وباتجاه تحقيق عدالة الله من خلال ايجاد نظام اجتماعي وسياسي يكون محضناً للعدل الالهي والحكومة العادلة المنشودة (ربّنا إننا نرغبُ إليك في دولة كريمة تعزُ بها الاسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك والقادة الى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة).

برحمتك يا أرحم الراحمين.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم.

1. الميزان في تقسير القرآن الكريم، السيد محمد حسين الطباطبائي، دار احياء الكتب الاسلامية، طهران.
2. التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتب الاسلامي، ط1، 2003.
3. تهذيب التفسير الكبير، للامام فخر الدين الرازي، هذيه وعلق عليه، حسين بركة الشامي، دار الاسلام، لندن، ط1، 1418 هـ، 1998م.
4. في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، ط1، 1400هـ، 1980م.
5. المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر، ضمن موسوعة الشهيد الصدر، دار العارف للمطبوعات، بيروت، ط1، 1433 هـ، 2012م.
6. مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الاصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1416 هـ، 1997م.
7. نهج البلاغة، تحقيق د. السيد هاشم الميلاني، ط1، 1431 هـ، 2010م، دار التعارف للمطبوعات، لبنان.
8. منتخب ميزان الحكمة، للبشهري، تلخيص السيد حميد الحسيني، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، إيران.

9. دروس في علوم القرآن الكريم، السيد راضي الحسيني، دار الاسلام، بغداد، ط1، 1445، 2024م.

الفهرست :

1. الاهداء.....3
2. المقدمة.....5
3. (بسم الله الرحمن الرحيم).....9
4. النصر المشروط.....11
5. من أساليب الطغاة والفاسدين.....13
6. سد باب الذرائع.....16
7. نزعة حب الذات والمال.....19
8. الأمة الوسط.....22
9. الانبياء والمجتمعات.....25
10. الصلاة التي تذهب السيئات.....28
11. الاقتران بين شهر رمضان والقرآن الكريم.....30
12. طابع في النفس الإنسانية.....33
13. الإمامة والقيادة.....36
14. سماع وقول.....39
15. يوم الدين.....42
16. أولادكم، أولادكم!.....45
17. وفوق كل ذي علمٍ عليم.....47
18. حسابات الزمن والنصر.....50

19. التوازن بين الإنسان والطبيعة.....52
20. هجر القرآن الكريم.....54
21. كما كان اسلافهم.....56
22. الذنب العظيم والتوبة المتميزة.....58
23. الصلاة والتقوى.....60
24. في أدب المجالس.....63
25. البراءة من الشرك اولا.....65
26. المثل الأعلى.....68
27. ما معنى (يبيتون)؟.....70
28. الموقف الضعيف.....73
29. ماذا وراء التعب في اداء الصلاة.....75
30. السبيل إلى اجتياز العقبة.....77
31. من السنن الذاتية 79
32. لا تخدعكم قوة المستكبرين.....81
33. الركون الى الظالمين.....83
34. ما أقربك يارب!.....85
35. الصبر زائداً التوكل.....87
36. سورة النور.....89
37. هيهات!.....91
38. التأدب بين يدي الله ورسوله.....93

39. الإسلام لا يُجزّأ.....95
40. الايمان بثماره.....97
41. الاعتداء شرع الجاهلية.....99
42. الله جل جلاله في القرآن الكريم.....101
43. القتال كافة 104
44. صلاة الجمعة.....106
45. آثار هجر القرآن الكريم في حياة المسلمين.....108
46. نور على نور.....110
47. التسبيح.....112
48. بين اعتذارين.....114
49. البعد الآخر للإنسان.....116
50. الشرف والرفعة بالقرآن الكريم.....118
51. فتنة الاستضعاف.....120
52. فضل الله على الشهداء.....122
53. بين اليك وعليك.....124
54. التبريروسيلة للدفاع.....126
55. جمال آخر.....128
56. إجادة العمل.....130
57. الأبناء على منهج الآباء.....132
58. التقوى اولا.....134

59. القرآن الكريم لا يُجزّأ.....136
60. بين المال والنفس.....138
61. الشخصيـة القلقة.....140
62. تشريعات بشرية.....142
63. مديات التصعيد الروحي.....145
64. وصّية خاصّة.....148
65. أيهما أَعُّز.....150
66. خير البرية.....152
67. تحريف معاني القرآن الكريم.....154
68. من نوالي؟.....156
69. اقتران الحكم بالحكمة والعلم.....158
70. مـن طبائع الإنسان.....160
71. ثقة ثم عطاء.....162
72. مـن سنن الله: الابتلاء.....164
73. شركاء في الاستمتاع، شركاء في العذاب.....166
74. بين (تعملون) (وتعلمون).....168
75. الحقيقة الكبرى.....170
76. الأصـل هو الإعراض برفق.....172
77. كدحٌ فلقاء.....174
78. الابتلاء بالوعي..... 176

79. الأمل أملان.....178
80. أولياء الله.....180
81. مقارنة.....182
82. إنهم فتية.....185
83. الإيفاء بالمكيال والميزان.....187
84. آثار الاعتقادات المعنوية.....189
85. في طيّات البلاء تولد الكرامات.....191
86. فرق بين ذنبين.....193
87. رسائل عديدة إلى موسى.....195
88. بين الذكر والنسيان.....197
89. اقامة الدين.....200
90. لأنهم مسؤولون.....203
91. الحياة المطمئنة حقا.....205
92. اليائسون من رحمة.....207
93. وسطية وشهادة.....210
94. من أساليب الحرب النفسية.....212
95. خطورة ما نسمع، وخطورة مانصّدق.....215
96. التعلم من النحل.....218
97. الحكم حكمان: حكم الجاهلية وحكم الإسلام.....220
98. ظاهرة الفساد.....223

99. الأمور بخواتيمها.....225
100. الإسلام دين اليسر ودين المواقف.....227
101. الإخـلاص لله.....229
102. عظمة الله وقدرته.....232
103. حين يكون ذهبك وبالا عليك.....235
104. من طبائع اليهود.....236
105. أشتات بني اسرائيل.....237
106. الذنب ذنبان.....238
107. خيـاران.....239
108. اول سؤال للملائكة.....240
109. طاعة الرسول القائد.....241
110. الجزاء العظيم للعمل العظيم.....242
111. عرض الدنيا.....243
112. ما بعد التوبة.....244
113. العدالة والعداوة.....245
114. الغاء العقل.....246
115. رحـم البشرية.....247
116. سبيل الله.....248
117. الفعل الكبير.....249
118. عمل من نوع آخر.....250

119. سؤال.....251
120. مصداق التحدي.....253
121. إيثار مع حاجة شديدة.....255
122. علاقة التأثير.....256
123. نوع الإجابة.....258
124. الفرج بعد قمة الشدة.....260
125. المقدمات والنتائج.....261
126. حين لا نقاتل.....263
127. الخاتمة.....265
128. المصادر والمراجع.....267
129. الفهرست.....269